سنوات الجحيم

أوراق مراسل
صحفي بالعراق

الفصل الخامس

أرض النار

obeikan.com

obeikan.com

١ - الضلوعية

فيما كان الرحالة المشهور فرديناد ماجلان يقترب من الرأس الجنوبي لجنوب أمريكا وذلك في أول رحله له حول العالم سنه ١٥٢٠, وفيما هو يجتاز الجزر القريبة من رأس هورن بدت لناظريه نيران كثيرة مشتعلة على الشاطئ ونيران أضرمها سكان تلك النواحي وترك هذا المشهد أثراً كبيراً في نفسه .. أطلق على تلك الجزر اسم تييرا ديل فويغو أي ارض النار إلا أن هذا الاسم لايعبر عن واقع حال تلك المنطقة فالمنطقة شديدة البروده هناك فهى أرخبيل في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية بالمحيط الهادي مساحته ٧٧,٠٠٠ كم مربعة ويقطنه حوالي ١٣,٠٠٠ ن مقسّم بين الأرجنتين وتشيلي ويفصلهما مضيق ماجلان.

أما أرض النار العراقية فكانت سخونتها أشد وطأة من النار على العراقيين .. مدنيون أبرياء دفعهم كرمهم ونخوتهم إلى فتح الأحضان للمقاتلين ضد الاحتلال من العراقيين والعرب ثم دفعتهم نخوتهم إلى الانقلاب على هذا الهراء الذى أحرق الأخضر واليابس ووقفوا بالمرصاد ضد من أحال حياتهم جحيما حتى تمكنوا من طرد تنظيم القاعدة من منطقتهم وكانوا نيرانا أحرقت شرارتها التنظيم الذى بدأ يتراجع على كافة المستويات حتى تلاشى أو كاد .. كما كانت نارا على الأمريكيين فكبدتهم أكبر خسائر يمنى بها الجيش الأمريكى على مدى سنوات بقائه بالعراق التى بدأت ربيع ٢٠٠٣ .. الضلوعية مدينة عراقية صغيرة تقع على بعد ٩٠ كم إلى الشمال من العاصمة بغداد، على الضفة الشرقية من نهر دجلة، يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٢ ألف نسمة، وهي كوحدة إدارية ناحية تتبع قضاء بلد في محافظة صلاح الدين ذات الأغلبية السنية .

الضلوعية نسبة إلى الضلوع، وهي جمع ضلع، سميت بذلك لأن أول من سكنها نظر إلى جغرافيتها فوجد نهر دجلة يحيط بها من ثلاث جهات (الجنوب والشرق والغرب) فقال : هذه الأرض كالقلب بين الضلوع، يحرسها دجلة من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة (الشمال) فهي أرض مفتوحة ولكن حسبنا عشرة مقاتلين لحراستها، ومن هنا اشتق اسمها (الضلوعية) حيث اليابسة بمنزلة القلب، ومنحنيات نهر دجلة كالقفص الصدري الذي يحويه.. تتبع للضلوعية بعض الضواحي، أبرزها ضاحيتان جميلتان هما حويجة الضلوعية، التي يحيط بها نهر دجلة من جميع الجهات، وتظهر وكأنها جزيرة سابحة في الماء .. والضاحية الثانية بيشكان ومعناها باللغة الكردية رأس النبع، حيث تلتقي عندها بعض روافد

نهر دجلة .

وقد سميت بهذا الاسم كون نهر دجلة يحيط بها من ثلاث جهاتٍ وكأنها قلب بين الضلوع، مدينة زراعية لم يقتل بها إنسان منذ العام ١٩٨٨ حتى مرت القاعدة فيها، وتضم أكثر من ٦٠٠ ضابط في شتى الصنوف .

منذ عام ١٩٨٨ وحتى عام ٢٠٠٣ لم تسجل جريمة قتلٍ واحدة في منطقة الضلوعية، المدينة العراقية الهادئة التي يسكنها خليط من البشر المتجانس شديد الوعى والكرم والشجاعة ولم تكن تعرف من التدين إلا معاني الرحمة والسلام والمحبة، ولكن في زمن المذبحة حملت هذه المدينة المسالمة لقب «أرض النار» وتحولت إلى واحدة من أهم معاقل تنظيم القاعدة في العراق .

٢ - قميص الطريق

لا يوجد طريق بالعراق مفروش بالحكايات والمفاجآت والمخاطر أكثر من الطريق إلى الضلوعية حتى أن العابرين فى هذا الطريق كانوا يضطرون إلى استبدال قميصهم عدة مرات خاصة فى تلك الأيام التى توافق مناسبات دينية لدى الشيعة بسبب انقسام هذا الطريق إلى عدة مناطق شيعية واخرى سنية متداخلة وهو ما يعنى أنه منطقة نفوذ لكل فرق الموت من الميليشيات الشيعية أو المجموعات المسلحة السنية .

عندما بدأنا رحلتنا الخطرة إلى أرض النار كان مرافقى « شعلان العود » رئيس القسم العربى بوكالة أنباء الصين « شينخوا» وهو ينتمى إلى أكبر عشائر الضلوعية « الجبور » قد ألقى على مسامعى نصيحة هامة وهى عدم التكلف فى المظهر وعدم الحديث عند نقاط التفتيش أو إظهار أى هوية « كارنيه» إلا عند الإلحاح من قبل الطالب .. وبعد أن نطقنا الشهادتين أشار إلى طريق يقع على يسار اتجاهنا هو الخط السريع المؤدى إلى مناطق محافظة الأنبار غربى العاصمة بغداد وأولها منطقة أبو غريب التى تضم السجن الشهير الذى شهد جرائم المجندين والمجندات الأمريكان ضد المعتقلين العراقيين فى بداية الاحتلال .. أما الطريق الآخر وهو الذى سلكناه لنصل إلى مقصدنا فهو يؤدى إلى محافظات شمال بغداد وكان ساحة لمعارك ضارية كبدت الأمريكيين خسائر فادحة مادية وبشرية .

مررنا عبر هذا الطريق بعدة مناطق تحمل الكثير من الحكايات والصور .. فهذا مسجد « أم القرى » الذى أصبح مقرا رئيسيا لهيئة علماء المسلمين أكبر مرجعية للعرب السنة وتسبب رفض قادتها وعلى رأسهم الشيخ حارث الضارى المشاركة فى العملية السياسية إلى حظرها واتهامها بدعم الإرهاب وكان يسمى قبل إنهيار

النظام السابق « أم المعارك» حيث بناه صدام حسين على أطلال مزرعة اختبأ فيها إبان حرب الكويت عام ١٩٩١ .. خلف هذا المسجد تقع منطقة الغزالية وهى أحد معاقل القاعدة فى بغداد ومقر القيادى السنى البارز الدكتور عدنان الدليمى رئيس مؤتمر أهل العراق وجبهة التوافق أكبر تكتل للعرب السنة شارك فى العملية السياسية وكانت مسرحا لأعمال عنف طائفى مروعة قبل أن يتم توجيه الاتهام إلى نجل الدليمى بارتكاب أعمال إرهابية ووضع الرجل المسن / ٨٣ عاما/ قيد الإقامة الجبرية فى فندق الرشيد المحصن داخل المنطقة الخضراء حتى غادر العراق نهائيا .

يروى صديقى شعلان أنه عندما كان يعبر هذا الطريق باتجاه مقر اقامة عائلته بالضلوعية كان يتحتم عليه مراعاة لون الملابس التى يرتديها خاصة فى أوقات المناسبات الدينية خاصة شهر محرم [1] ففى تلك المناطق السنية يلبس قميصا ملونا إلا أنه يضطر لاستبداله عندما يعبر المناطق الشيعية بقميص آخر أسود .. وربما كان لون القميص إذا غفل صاحبه سببًا فى الموت سواء على أيدى عناصر القاعدة أو ميليشيا جيش المهدى .

نمر عبر منطقة أطراف سبع البور وهى ذات غالبية شيعية تداهمنا مساحة شاسعة من الأرض محاطة بسياج من الأسلاك الشائكة تضم بعض المبانى المتواضعة يقول مرافقى أن عدى صدام حسين كان يجهزها لإقامة مدينة رياضية كبيرة إلا أن المشروع انهار بعد سقوط نظام صدام واستولى عليها مواطنون ليس لهم سكن ضمن ما عرف باسم الحواسم التى استحل خلالها العراقيون المحرومون أملاك الدولة وأموالها بعد دخول القوات الأمريكية إلى بغداد فى ٩ إبريل ٢٠٠٩ والتى كانت تقف متفرجة على ما يجرى دون أن تحرك ساكنا .. نمر عبر تلك المنطقة التى تتبع إداريا ناحية التاجى التى تمثل نهاية حدود العاصمة بغداد حيث يوجد مسجد كبير يسمى « البتول» وكان مقرا لفرقة حزبية تابعة للبعث.

يقول مرافقى شعلان الجبورى أن خطورة هذا الطريق تكمن فى أن جانبه الأيمن يخضع لنفوذ تنظيم القاعدة بينما يسيطر جيش المهدى الميليشيات الشيعية على جانبه الأيسر وهو بداية الطريق الدولى الرابط بين العراق وتركيا حيث تنتشر محطات الموت على جوانبه ممثلة فى نقاط تفتيش وهمية تديرها الميليشيات

(١) هذا الشهر من أشد الشهور وطأة على العراقيين حيث تحل فيه ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع أخيه غير الشقيق العباس بن علي بن أبي طالب وهي الذكرى الأكثر تقديسًا وألمًا لدى الشيعة .

تساعدها نقاط تفتيش رسمية مرتبطة بشكل أو بآخر بفرق الموت خاصة جيش المهدى الذى تنتهى دائرة نفوذه عند منطقة الطارمية ليبدأ نفوذ تنظيم القاعدة بشكل كامل .. كان هذا الطريق يخضع فى معظم الأوقات للإغلاق من جانب القوات الأمريكية مما يضطر العابرين إلى السير فى طريق فرعى عبر بساتين وجداول كان معبرا لسكة قطار بغداد – الموصل وهو طريق مهجور يتخذه عناصر تنظيم القاعدة ملاذا آمنا يتلقفون فيه العابرين أمام سمع وبصر القوات الأمريكية التى تغلق الطريق الرئيسى وهو ما جعل الناس يعتقدون بشكل لا يقبل الشك أن هناك ثمة تواطؤ .

دلفنا إلى منطقة المشاهدة عبر بستان رائع الخضرة والنضارة يحكى إحدى قصص الظلم التى تؤشر إلى عهد محسوب على الطائفة السنية .. حيث كان ذلك البستان المثمر محط أنظار الناس لدرجة أثارت طمع مدير المخابرات العراقية الأسبق فاضل طلفيح الذى كان قد تولى منصب محافظ صلاح الدين وتتبعه المنطقة إداريا فى ذلك الوقت وعندما حلت لعنة الطمع كان ثمنها رأس مالك الأرض الذى لم يتجاوز عمره حينها ١٦ عاما بعد تلفيق تهمة جزاؤها الإعدام وهى التآمر على قلب نظام الحكم الذى لم يكن الفتى يعلم معناها.

غادرنا المشاهدة السنية لنصل إلى الدجيل الشيعية التى أصبحت عنوانا لمحاكمة العصر بعد أن دارت دورة الزمان وأصبح المحكومون حكاما حيث صدر الحكم بإعدام صدام حسين بتهمة قتل ١٤٨ شخصا من أهالى تلك المدينة البائسة عندما تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة الثامن من يوليو عام ١٩٨٢ وكان أبطالها من أبناء المدينة الذين وجهت لهم تهمة الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية الذى حكم اثنان من زعماء العراق بعد الاحتلال الأمريكى وهم الدكتور إبراهيم الجعفرى ونورى المالكى .. ويروى شعلان العود الجبورى أن تلك المدينة التى عانت بسبب وضعها ضمن دائرة شكوك نظام صدام حسين وتم تجريف أراضيها لم تشهد أى أعمال عنف طائفى أو حوادث انتقامية بين أغلبيتها الشيعية وأقليتها السنية رغم ما جرى من فواجع فى زمن المذبحة بعد أن أفشل شيوخها محاولات قائد العمليات فيها عندما حاول إذكاء العنف الطائفى مستغلا قضية الدجيل التى كان يحاكم فيها صدام حسين وأعوانه .. حيث طلبوا نقل هذا القائد الطائفى وحافظوا على العرف العشائرى حتى أن أهل الضلوعية السنة كانوا يشيدون دائما بأخلاق أهل الدجيل الشيعة الذين حافظوا عليهم سواء كانوا عابرين لطريق بلدهم أو موظفين فيها .

وتعد الدجيل تاريخيا من المناطق الزراعية المعروفة في العصر العباسي وفي اوائل محرم من عام ٦٥٦ هجريا عام ١٢٥٨ ميلاديا شهدت الدجيل اشتباك جيوش الدولة العباسية بالجيش المغولي وانتهت المعركة بتحطيم الجيش العباسي وتقدم هولاكو بالجيش المغولي المؤلف من مائتي ألف محارب إلى بغداد .

وسكان الدجيل من قبيلة الخزرج الذين يتفرعون من خمسة بطون اعتنق عدد منها المذهب الشيعي وهي البطون التي نزحت فيما بعد إلى الكاظمية والنجف والناصرية والسماوة.

والدجيل بستان كبير لكنها مدينة صغيرة وعلى الرغم من أن الاراضي الزراعية تحيط بها من كل جانب فان بيوتها ليست كبيوت القرى ويشقها نهر صغير يطلق عليه تسمية « مشروع الدجيل » وتكثر فيها اشجار الحمضيات بكل انواعها والكروم والنخيل غير أن صدام اقدم على تجريفها وحولها فيما بعد إلى ارض قاحلة بعد تعرض موكبه إلى اطلاق نار اثناء مسيره في احد شوارع البلدة

يواجهك على طول الطريق من الدجيل إلى منطقة بلد الشيعية اللافتات السوداء التى كتب عليها شعارات شيعية صرف تعلن عن أسماء مواكب الزوار الشيعة العابرين إلى قضاء « بلد» حيث مرقد « سيد محمد» ابن الإمام على الهادى وهو أحد المزارات الشيعية الهامة بالعراق أو باتجاه سامراء حيث مرقد الإمامين العسكريين / الإمام على الهادى والحسن العسكرى وهما الإمامان العاشر والحادى عشر لدى الشيعة الجعفرية / .. فهذه لافتة تشير إلى مرقد الصحابى الجليل مالك بن الأشتر وهذه لافتة تشير إلى موكب قطيع الكفين وموكب خادم الإمامين العسكريين وهذه لافتة تشير إلى حسينية أنصار الرسول وغيرها تشير إلى موكب أم البنين .

٣ - البوزرواحد

وصلنا بعد ذلك إلى منطقة محطة بلد المؤدية إلى مدينة بلد الشيعية التى خضعت لسيطرة الميليشيات وشهدت أعمال عنف دموية مروعة ذات طابع طائفى أشعلتها مواقف يرى أهلها أنها من صنع جهات شديدة التنظيم تعرف هدفها جيدا وتجيد استغلال المواقف لإشعال الفتنة التى استجاب لها الجهلاء للأسف حتى باتت من المناطق المحرمة التى لم تنعم بالأمن على مدى سنوات المذبحة .. ثم دلفنا إلى طريق فرعى يؤدى إلى مقصدنا « الضلوعية » داهمنى فى بدايته مشهد لأحد الجسور «كوبرى» كان يختصر الطريق قال الأمريكيون أن شاحنة مفخخة

دمرته إلا أن من شهد تلك الفترة يؤكد أنه تم تفجيره من خلال قصف جوى أمريكى حيث أدى هذا التفجير وانهيار الجسر إلى تشكيل منطقة تعد من أسوأ مصائد الموت حيث كان السنة يضطرون بعد انهيار الجسر إلى عبور قنطرة فوق أحد فروع نهر الإسحاقى عبر « بلد» لتتصيدهم الميليشيات الشيعية الطائفية أو يعبرون طريقا آخر به نقطة تفتيش حكومية فى منطقة نفوذ لتنظيم القاعدة .. وتجاور « بلد »الشيعية بلدة تسمى تل الذهب توجد بها نقطة التفتيش القاتلة التى تسمى « نقطة ١٤ » .. ويقول شعلان: (فى هذا المفترق من الطرق يجب أن تختار بين الموت والموت السريع حيث تجرى سلسلة حسابات لمعدل الخطورة واحتمالاتها فإما المرور عبر « بلد » الشيعية حيث ميليشيا جيش المهدى أو نقطة « قناة ١٤ » حيث تنظيم القاعدة) وهو ما جعل أهالى المنطقة يقولون دائما فى إشارة إلى أن جهات متعاونة تدير المذبحة بقول « البوزر واحد» والبوزر هو مضخة البنزين التى تعبأ بها السيارة من المحطة وتعنى أن الجهة أو الجهات التى تدير عمليات تنظيم القاعدة هى نفس الجهة أو الجهات التى تدير عمليات جيش المهدى وتمولها.

وصلنا إلى منطقة بنى سعد وهى منطقة مختلطة من السنة والشيعة كانت نقطة التواصل بين بلد الشيعية والضلوعية السنية حيث كان سكانها من الطائفة السنية يقومون بقضاء مصالح أهل بلد التى يحتاجون إليها فى الضلوعية بينما يقوم أهلها من الطائفة الشيعية بقضاء مصالح أهل الضلوعية التى يحتاجونها فى بلد حيث كانت المناطق جرى تقسيمها طائفيا فى زمن المذبحة وصارت محرمة إلا على من ينتمى لطائفتها .. ثم عبرنا جسر الضلوعية فوق نهر دجلة لندخل حويجة الضلوعية وتبدأ البساتين لتشكل بحرا من الخضرة التى تروى حكايات المجد والدم بالظهور لترسم مشهداً معقداً من الجمال والرعب والرهبة والأمل والرخاء والبؤس والحياة والموت إيذانا بوصولنا إلى « أرض النار» وتحديدا فى حى الجبور الذى لا تزيد مساحته على ثلاثة كيلومترات إلا أن كل شارع فيه يحتفظ بتاريخ وتروى كل زاوية قصة بطولة أو انكسار لتبدأ الروايات التى لا تنتهى عن أحداث هزت العراق ورسمت بعض معالم زمن المذبحة .. أين كانت البداية .. كيف استمرت الحكاية .. من أطلق صافرة النهاية .. هذا ما سوف تفسره الصفحات القادمة .

٤ - سيباط كمال

يقول كمال الذى يمارس الكتابة كوسيلة للتطهير غير طامح فى أن يسبق

اسمه لقب الكاتب أو الأديب .. يسجر التنور بأجساد الرعية وأرواح من بقى على قيد الحياة وتطحن الرحى نفسها وتصيح هل من مزيد ؟ .. تعددت الأسباب والقاتل واحد ..فهذا مات لأنه تعثر بجثة رفيقه فى ساحة الحرب التى لا يعرف لماذا اشتعلت .. وذلك مات لأنه قال هذا ظلم لماذا يقتل لأنه تعثر ؟ .. والآخر مات لأنه شاهد على قول الثانى ولم ينقله بأمانة وسرعة لحاشية الوالى .. ومات آخر كمدا حين علم بهذه الحادثة .. هذه أحدث طريقة لقتل الشعوب ووأد ثوراتها ليرحل الجميع تاركين وراءهم أطنانا من الأمانى تعصف بها الريح .. فتدق الطبول .. كل يوم فى بلادى تدق للحرب طبول .. ومن يموت غير صاحب الحياء ؟ .. يبقى فقط الصلف وحفار القبور .

فى هذا المكان « السيباط أو المضيف» تجتمع الضلوعية بكل مكوناتها وأفكارها وانتماءاتها .. كان ملاذا للمجاهدين الحقيقيين وغير الحقيقيين .. من حمل السلاح ضد الأمريكيين ومن عمل معهم طلبا لراتب مجز .. من قاتل دفاعا عن الوطن ضد الاحتلال ومن قاتل تنفيذا لأجندة خارجية .. من وجه سلاحه وقنابله ضد المحتل ومن وجه سلاحه وقذائفه ضد أهل العراق الطيبين .. من بين جوانبه انطلقت عمليات هددت الوجود الأمريكى بالعراق واليه لجأ رجال المقاومة بعد انتهاء مهمة لهم كبدوا فيها الأمريكيين خسائر فادحة .. على بساطه البسيط جلس المقاوم للاحتلال والمتعاون معه .. كان صاحبه « كمال» من أوائل المجاهرين بعدائهم للقاعدة والمقاتلين العرب الذين أحرقوا البلاد ووجهوا فوهات بنادقهم إلى صدور أهل الضلوعية الطيبين بعد أن تحولت من بساتين الخضرة والجمال إلى أرض النار .

يروى كمال كيف تحولت الضلوعية إلى جذوة مشتعلة من المقاومة مع احتلال بغداد فى ٩ أبريل عام ٢٠٠٣ حيث كانت المدينة بين تيارين بعثي وإسلامي من أبناء المساجد، ومن كلا التيارين خرج من يحمل فكر التغيير عن طريق السلاح ضد القوات الأمريكية .. كانت الضلوعية صغيرة المساحة كبيرة التأثير تحتضن ذوى التوجه إسلامي ، وأيضاً كانت معقلًا من معاقل حزب البعث بها مقرات للحزب وفيها عسكريون أيضاً دخلوا حزب البعث بحكم الوظيفة العسكرية، وعندما دخل الأمريكيون حصل نفير من الإسلاميين من جهة ونفير من قبل البعثيين من جهة أخرى حمل البعثيون السلاح وحمل الإسلاميون الذين كانوا في المساجد بشكل أساسي أو التيارات السلفية السلاح لأن القضية باتت قضية مقاومة الاحتلال وليس أى شيىء آخر فلا وجود لمسميات ولا وجود لقادة ولا وجود لخطط

ولا وجود لتنظيمات خارجية مثل القاعدة وإنما كان الهدف هو مقاومة الاحتلال باعتباره حق مشروع .

ويقول كمال أن عمليات المقاومة كانت تتم بشكل فردى أو على شكل مجموعات صغيرة لا يتجاوز عدد أعضائها الخمسة أفراد يعملون على توفير السلاح من مالهم الخاص بل كان بعض الموظفين يقترضون بضمان راتبهم لشراء أسلحة ومتفجرات وهى متوافرة لاستخدامها فى عمليات ضد القوات الأمريكية التى تواجدت بكثافة بعد عملية « شبه الجزيرة » التى كانت أكبر عملية عسكرية تنفذها القوات الأمريكية بعد الإعلان رسميا من جانب الرئيس الأمريكى جورج بوش بانتهاء العمليات العسكرية ونجاح احتلال العراق .

ويؤكد أنه لم يكن للقاعدة أي تواجد على مدى سنة الاحتلال الأولى حتى بدأ فكر القاعدة يدخل إلى المدينة عندما بايع أبو الحارث واثق عبد الله لطيف الجبوري أمير القاعدة في العراق أبو مصعب الزرقاوي، وأبا الحارث شاب عمره ٢٥ سنة وهو شقيق الناطق باسم دولة العراق الإسلامية محارب الجبوري الذى تعددت الروايات حول مقتله وبعد البيعة أصبحت الضلوعية أهم معقل من معاقل القاعدة وفيها تم تشكيل مجلس شورى المجاهدين بحضور أبي مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٥ وأبي علاء تلعفر ومحارب الجبوري وملا ناظم الجبوري وأبي عبد الله قائد المجلس في الأنبار، وبتلك البيعة كان الدخول الثاني لأبي مصعب للضلوعية.

ويكشف كمال عن أن أهل الضلوعية كانوا بين فكى كماشة إما الانتماء إلى الجيش الإسلامى أو القاعدة حيث كان الجيش الإسلامى الذى يقوده مؤيد متعب سالم ينتمى إلى أحد أفخاذ عشيرة الجبور المعروفين تاريخيًا بجلب الأفكار الجديدة وتبنى كل فكر يسود بالعراق أو خارجه بما فيها الفكر اليسارى بينما كان أحد الأفخاذ الأخرى للجبور وهو فخذ محمد العبد الله يقود عمليات الجهاد ضد الاحتلال فى إطار عمليات مقاومة حقيقية تستهدف القوات الأمريكية فقط وقد رفض هذا الفخذ الا نضمام إلى الجيش الإسلامى فصار بالنتيجة مع القاعدة الذين كان يطلق عليهم قبل دخول التنظيم اسم « التوحيد والجهاد» وكان ينتمى لهم محارب الجبورى الذى تولى فيما بعد منصب وزير إعلام الدولة الإسلامية والمتحدث باسمها.

كان سيباط كمال « المضيف» مركزا لتجمع عناصر المقاومة وأحد مخازن الأسلحة وأحد أهم المخابىء التى تخطئها عين القوات الأمريكية حيث كان كمال يعمد إلى استقطاب العاملين مع الأمريكان من العراقيين سواء المترجمين أو

العمال داخل المعسكرات الذين صاروا فيما بعد هدفا مفضلا لمقاتلى القاعدة حيث كان يطلق على المضيف اسم « سيباط العملاء» وكان صاحبه يسعد بذلك لإبعاد الشبهة عن المقاومين الحقيقيين الذين كانوا يلجأون غالبا إلى المضيف بعد تنفيذ عملياتهم عندما كانت تلك العمليات بمثابة فرصة للثواب والأجر .

ويقول كمال أنه عايش عدداً كبيراً من المجاهدين الحقيقيين سواء العراقيين أو العرب الذين كان غالبهم سعوديون يمارسون الجهاد ولا يتقبلون أى دعم ويعيشون حياة الزهد بل أن أحدهم دفع حوالى ٥٠ ألف دولار حتى يتمكن من الدخول إلى العراق والجهاد فى صفوف المقاومة ضد الاحتلال .. وكان يطلق على أحدهم لقب بن لادن ويدعى عبد الله إبراهيم أجدع كان يتميز بعزيمة وغيرة وقوة فى المنطق وكان طعامه الخبز والبصل المشوى ويفترش الأرض وعندما تشتد قسوة البرد يلف جسده بفرش بسيط من هذا الفراش المتواضع الذى ينام عليه البسطاء فى الريف .

ويروى كمال كيف تحولت المقاومة من جهاد ضد قوات الاحتلال إلى قتل منظم لأهل المنطقة لأى سبب إما عدم دعم المجاهدين أو العمالة للاحتلال بسبب لجوء بعض الأهالى إلى العمل فى معسكرات القوات الأمريكية أو كمقاولين بهدف تحسين ظروفهم المعيشية أو العمل مع الدولة فى قوات الجيش والشرطة وذلك كان فى عام ٢٠٠٥ عندما ازداد تدفق المقاتلين العرب على الضلوعية باعتبارها مركزا رئيسيا لتجمعهم وعملياتهم بعد أن زار المنطقة أبو أنس الشامي، واطلع على تفاصيل المدينة، فاتخذها معقلا للأجانب بجنسيات عدة، فكانت المنطقة العسكرية للتنظيم تمتد من شرق المدينة إلى حدود محافظة ديالي، ومن ثم شمالا حتى كركوك تحت إمرة محسن كبير أبو عبيدة المغربي، وهو من مراكش، وكان المفتي الشرعي للتنظيم وكان القائد العسكري الدكتور نجم النعيمي أبو صفا، وهو من أهالي الأعظمية، وبعد ذلك اتخذت القاعدة من المنطقة مقرا رئيسيا لتدريب المقاتلين؛ حيث منطقة نهر العظيم التي تضم معسكرات التدريب الرسمية للمقاتلين الجدد من العراقيين والعرب الوافدين للقتال في بلاد الرافدين، وكان المعسكر تحت إمرة أبو عبد الكريم المصري، وأبو إسحاق التونسي.

ويقول كمال أنه حاول بما لديه من قوة أن يوجه النصح إلى هؤلاء المقاتلين الذين باتوا مصدر ضيق وقلق لأهل الضلوعية الذين احتضنوهم فى البداية ووفروا لهم الملاذات الآمنة إلا أن النصائح ذهبت أدراج الرياح وبدا للجميع أن الجهاد صار عنوانا وهميا وأن ما يجرى على الأرض من عمليات اختطاف وقتل بعيدة كل البعد عن الإسلام والمقاومة والجهاد وغير ذلك من العناوين الشريفة التى دخل

بها هؤلاء المقاتلون إلى البساتين التى أحالوها جحيما وصارت عملياتهم مثار انتقاد وغضب من الأهالى بعد أن كانت نساء المدينة يطلقن الزغاريد فرحا بهجماتهم ضد القوات الأمريكية .

وكانت عمليات المقاتلين حتى تلك المواجهة ضد القوات الأمريكية لا تراعى مصالح أهالى المنطقة أو ما يمكن أن ينالهم جراء نيران الغضب الأمريكية بعد كل عملية وهو ما حدث ذات مرة عندما تمكن أحد هؤلاء المقاتلين من ضرب آلية أمريكية نوع همر ضمن رتل كان يعبر المنطقة وفر محتميا بالمضيف رغم تحذيرات كمال له بعدم مهاجمة الأمريكان فى مكان قريب ثم اللجوء إليه حتى لا يثير الريبة وينقد المقاتلون ملاذا آمنا ومخبأ جيدا .. وساعده كمال على الهرب واستغلها فرصة لإحراق المضيف فى دقائق قليلة معللا ذلك لدورية أمريكية تتبعت المهاجم بأن الحريق ناتج عن محاولة لإيقاد بعض الأخشاب بغرض التدفئة إلا أن نيرانها طالت المضيف المصنوع من البوص وبقايا الأشجار فالتهمته .

٥ - حريق النهر

كما احترق مضيف كمال بسبب أحد ضيوفه احترقت الضلوعية بأفعال من ضيفتهم ووفرت لهم الملاذ الآمن فتارة أحرقتها التفجيرات والمعارك من جانب القاعدة وتارة أخرى أحرقتها الطائرات الأمريكية وقنابلها بهدف الإبادة المنظمة لتلك البساتين الكثيفة التى مثلت مخابىء مثالية ومقرات آمنة للمقاتلين .

كانت الضلوعية تبدو مثل نهر من الخضرة معلق على جوانب نهر دجلة حيث تمتد بساتين البرتقال والحمضيات والتوت فى مشهد رائع قلما تجد له نظيرا فى العالم .. ويبدو أن كثافة بساتين تلك المنطقة ووعورة الطرق المؤدية منها وإليها أغرت قيادات المجموعات المسلحة سواء من تنظيم القاعدة أو الجيش الإسلامى على اتخاذها مقار لهم يمارسون فيها جرائمهم ويهربون عبر دروبها وقت الضرورة بالإضافة إلى تخزين أسلحتهم

بل أصبحت تلك البساتين مناطق آمنة لإقامة مصانع بدائية لصنع المتفجرات من الصواريخ والعبوات الناسفة تحت قيادة أمراء التنظيم حتى أن أمير تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوى لم يترك المدينة، بل كانت المحطة المهمة في تنقله بين المناطق السنية الأخرى، وكان متواجداً في منطقة البوعواد الزراعية التي تقع بالقرب من نهر دجلة كما كانت الممرات المتواجدة بتلك المناطق الزراعية الكثيفة الخضرة يستخدمها مقاتلو القاعدة وقياداتها يدخلون

ويخرجون منها ويربطون بينها وبين معاقلهم الأخرى في المحافظات القريبة خاصة ديالى وباقى مناطق صلاح الدين والأنبار وغيرها من المناطق العراقية، وهو الطريق الذي استغله الزرقاوي أكثر من مرة في الدخول والخروج من المدينة قبل أن يلقى مصرعه في قرية هبهب التى تبعد حوالى ٥٠ كم شرق بغداد والتى لا يفصلها عن الضلوعية وبساتينها سوى عدة كيلومترات.

بعد أن أحكمت القاعدة سيطرتها على بساتين الضلوعية بدأت منذ العام ٢٠٠٦ عمليات التصفية الجسدية بحق كل من انتمى للجيش العراقي أو دوائر الدولة الأخرى وتم تصفية العشرات منهم جسديا وإلقاء جثثهم على قارعة الطريق كما تم اختطاف المئات منهم ولم يعودوا، ولم تكن القاعدة قد صبت غضبها على أهالي الضلوعية فحسب وإنما شملت التصفية الضيوف القادمين إليها بعد اشتداد قوتها وإعلان دولة العراق الإسلامية، وتولي المسؤولية الأمنية على المدينة المقاتلون الأجانب، وإعلان الضلوعية جزءاً من إمارة إسلامية تابعة لولاية صلاح الدين التي كانت بقيادة النعيمي.

وبدأت مرحلة جديدة في الضلوعية على يد القاعدة، إذا أمرت بإسقاط الأعلام العراقية التي ترمز لمعالم حكومة العراق حين كان أبو عبيدة المغربي « الجزائرى» القائد العام للمنطقة .

ولما رأى الأمريكيون قوة القاعدة في المنطقة أقاموا عند مدخلها الوحيد جداراً أسمنتياً عزل أهلها عن العالم لأكثر من شهرين، وأغلقوا جسرها بقطع كونكريتية « أسمنتية» للسيطرة على المدينة التي بدأت بتوريد عناصر القاعدة إلى المحافظات الأخرى، كما أزالت القوات الأمريكية مساحات شاسعة من بساتين الضلوعية التى احترقت بنارين نار الأمريكيين ونار القاعدة وتلون نهر الخضرة الفاتن بلون السواد ولم يتبقى من أشجاره سوى جذوع سوداء استمرت شاخصة لتروى ما فعلت القاعدة والاحتلال بنهر الخضرة والخير الذى استحالت أرضه إلى يباب وخراب وباتت مساحته الشاسعة مكانا غير صالح للعيش بعد الحريق وهذا ما شاهدته عندما زرت الضلوعية فى عام ٢٠٠٩ وتحدثت مع أصحاب تلك البساتين الذين استحالت فرحتهم إلى بؤس بسبب انهيار الزراعة التى كانت مصدر رزقهم الأساسى .

ويروى الشيخ دحام أحد وجهاء الضلوعية الذين شاركوا فى أول مجلس محلى بعد الاحتلال ونالهم من التهديد والوعيد الكثير إلا أن القدر شاء أن تبقى رؤوسهم فوق أجسادهم حتى الآن أنه عند تفجير مرقد الإمامين العسكريين / الإمام العاشر والحادى عشر لدى الشيعة الجعفرية/ في سامراء فى فبراير عام

٢٠٠٦ كان العشرات من عناصر القاعدة يخرجون لممارسة التصفية الطائفية عند منطقة البوصليبي شرق الضلوعية، ولم يسلم أهالي المدينة من التصفية الجسدية تحت راية التكفير والردة والتجسس لصالح القوات الأمريكية أو العراقية.

وذلك رغم التأييد الواسع الذى حظيت به القاعدة والمقاتلين العرب والذى فاق بقية الفصائل المسلحة الموجودة في الساحة، بعد أن دخل واثق عبد الله لطيف هو شقيق محارب الجبوري الذى أصبح الناطق باسم دولة العراق الإسلامية « وزير الإعلام» في صفوف القاعدة حيث كان بينه وبين أبو مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين لقاء وبيعة حقيقية على السمع والطاعة وكانت المناطق الواقعة شرق الضلوعية هي مناطق تواجد للقاعدة، وكان أبو مصعب الزرقاوي ينتقل إلى ديالي حيث جرى قتله من قبل القوات الأمريكية بقصف جوى منتصف عام ٢٠٠٦ عن طريق هذه المناطق، حيث كان يستقر في أحد المنازل شرق المدينة، ويروى الشيخ دحام أن قيادات كثيرة لصلاح الدين وأحد ولاة الموصل وشخص أيضاً سعودي «أبو الحارث السعودي» كانوا يتواجدون بالضلوعية ، وحضر من يمثل المدينة عسكرياً وهو أبو الحارث العراقي من الضلوعية، وجرت بينه وبين أبو مصعب الزرقاوي بيعة تم بموجبها إعلان إقامة خلية جديدة لتنظيم القاعدة تعمل في المدينة ثم توسعت إلى المناطق المحيطة، وباشرت أعمالها شأنها شأن بقية القواطع الأخرى.

وبعد البيعة صارت المدينة أكبر مأوى وحاضنة للمقاتلين الأجانب بعد أن فتحت الضلوعية صدرها لهم باعتبارهم يقاتلون المحتل وبدأت الجماعة تتوسع حتى أصبحت المدينة من أهم المناطق العسكرية للقاعدة رغم وجود ثلاث قواعد عسكرية للقوات الأمريكية تحيط بها.

وتوافد المقاتلون العرب بكثرة إلى المنطقة ..سعوديون من تبوك ومن الرياض ومن بيشم .. يمنيون من حضرموت وغيرها .. تونسيون ..جزائريون ..مصريون .. سوريون حيث زار المنطقة أبو أنس الشامي وبعد أن تعرف على تضاريسها اتخذها معقلاً للأجانب بجنسيات عدة.

ويقول محمد « أبو الجيس» الذى عمل لفترات ضمن صفوف المقاومة أنه بعد تعرض المقاتلين المتواجدين فى مناطق سامراء التى تبعد حوالى ٣٠ كم شمال الضلوعية لضغوط كان من الواجب البحث عن مدينة أخرى أو بيئة أخرى تحتضن هؤلاء المقاتلين ، فبحثت القاعدة عن منطقة بديلة جغرافياً تأويهم، لا تشاهدها الأنظار ولا تقترب منها قوات حكومية أو غير ذلك مما يشكل تهديدا للمقاتلين المنتمين للقاعدة توفر بيئة ملائمة لاحتضانهم وإخفائهم.

ولهذا اتخذت القاعدة المنطقة مقراً رئيسياً لتدريب المقاتلين حيث منطقة نهر العظيم التي تضم معسكرات التدريب الرسمية للمقاتلين الجدد من العراقيين أو العرب الوافدين للقتال في بلاد الرافدين، وكان المعسكر تحت إمرة أبي عبد الكريم المصري وأبي إسحاق التونسي.

كما كانت هنا معاقل لكثير من قيادات القاعدة، ومراكز لتدريبها، ومنطلق لشن هجماتها، وأصبحت المنطقة خطا رئيسيا يربط صلاح الدين بديالى وكركوك والموصل، و كانت القاعدة تتنقل وتتحرك لشن هجماتها إلى المحافظات الأخرى وهو ما أدى إلى هجرة معظم أصحاب الأراضى بعد أن استحلتها القاعدة وارتكبت أبشع الجرائم بحق من احتضنها وساعدها من أهالى تلك المناطق .. فيما أدت الهجمات الأمريكية ضد عناصر التنظيم بمشاركة قوات الشرطة والجيش وعناصر الصحوة إلى إحراق نهر الخضرة الذى كان يمتد لمئات الأفدنة.

٦ - الدولة والإمارة

انحصر الصراع فى ثنائية الدولة العراقية المنهارة والإمارة الإسلامية الناشئة الفتية بعد أن أعلن تنظيم القاعدة دولة العراق الإسلامية التى صار لها قانونها الخاص وقادتها وعناصرها ليحلوا محل الدولة الرسمية تحت سمع وبصر قوات الاحتلال الأمريكى .. حيث يؤكد المقدم محمد خالد عبد الحميد قائد شرطة الضلوعية أن القاعدة في أثناء سيطرتها على المنطقة قامت بتدمير كافة الدوائر العائدة للشرطة منها مديرية الشرطة التى تقع فى منطقة الجبور وتم تفجيرها، كما تم تفجير مراكز الشرطة وسلب الأسلحة والتجهيزات الموجودة فيها وكانت القاعدة لا ترغب فى وجود أي مظهر من مظاهر الدولة في المنطقة، حيث كل عنصر يستطيع أن يقول فلان لديه موظف يقومون بخطفه وتصفيته فوراً ، وأصبحت المنطقة خالية من العسكريين ومن عناصر الشرطة وتوقف عمل الشرطة في منطقة الضلوعية ناحية الجبور تحديداً نهائيا .

كما جرى تحريم أي مَعلم من معالم دولة نورى المالكي التى تعتبرها القاعدة حكومة الاحتلال سواءً رفع العلم العراقي أو التواجد في دوائر الحكومة أو ارتداء الزي العسكري سواءً في الشرطة أو الجيش العراقي أو غيرها وكل ما من شأنه أن يعطي إشارة إلى أن هذا الشخص هو جزء من الدولة كان يتوجب عليه إما أن يتوب ويسلم سلاحه وإما أن يذوق ما ذاقه غيره من المدنيين الذين قتلوا أو اختفوا بعد اختطافهم .

ويوضح قائد شرطة الضلوعية الأمر لى قائلا : أنه عندما تم استحداث جهاز

الشرطة بعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ كان الجميع يرفض الانضمام إليه خوفا من عودة صدام حسين إلى الحكم مجددا كما كانت تروى الحوارات الشعبية العراقية فى ذلك الوقت[١] .. وعندما أصبحت الضلوعية من أشد مناطق العراق سخونة بعد تشكيل المجموعات المسلحة كان الانتماء للشرطة أيضاً أمراً يشوبه الكثير من التحفظات حيث كان الأهالى يناصرون المسلحين باعتبارهم مجاهدين فى هذا الوقت وتحديدا حتى نهاية العام ٢٠٠٥ وهو ما خلق شعوراً بالدونية لدى كل من ينتمى إلى جهاز الشرطة .

ويروى قائد الشرطة أن المقاتلين « المجاهدين» كانوا يحظون بدعم لا نهائى من أهالى الضلوعية وعلى رأسهم قوات الشرطة وما يدل على ذلك أن القوات الأمريكية حاصرت مجموعة من المسلحين الذين ينتمون لتنظيم القاعدة بعد تنفيذ عملية كبيرة ضد أحدى الدوريات الأمريكية فى عام ٢٠٠٥ وفرت لهم قوات الشرطة الحماية اللازمة ووضعت كل امكانياتها تحت إمرتهم فاستخدموا سيارات الشرطة وارتدوا ملابس عناصر الشرطة وخرجوا من الحصار تحت سمع وبصر الأمريكيين باعتبارهم قوات من الشرطة العراقية .

وعندما سقطت الأقنعة وظهرت الوجوه الحقيقية للمقاتلين سواء العرب أو العراقيين اكتشف الجميع أن هناك أجندات خارجية بدأت تدخل إلى العراق ويريد المقاتلون تنفيذها بعد أن توجه سلاح المقاتلين « المجاهدين» إلى صدور الأهالى خاصة العاملين مع القوات الأمريكية من مترجمين وموظفين .. فيما كان النصيب الأوفر من القتل يخص عناصر القوات الأمنية وبدأت الشكوك تحوم حول هؤلاء المجاهدين الذين استفحلت قوتهم وعجز الأمريكيون أو تعاجزوا عن ردعهم ووقف أنشطتهم .

تغيرت توجهات القاعدة وصيغتها وثوابتها واستفحل أمرها وبدلا من أن كانت جهة تقاتل قوات الاحتلال شأنها شأن الجماعات المسلحة الموجودة على الساحة العراقية ، إذا بها جهة تترك المحتل يصول ويجول وتستهدف الإنسان العراقي ، تغيرت القاعدة بدرجة ٣٦٠ إلى الشمال وليس إلى اليمين، وانقلبت على المواطن العراقي، وكانت سيارة المحكمة الشرعية لدولة العراق الإسلامية ولاية صلاح الدين قاطع الضلوعية، وهي محكمة يتواجد فيها قاض عراقي وقاض سعودي أو

(١) حتى تنفيذ الحكم بإعدام صدام حسين نهاية عام ٢٠٠٦ كان المزاج الشعبي العراقي وخاصة المناطق السنية يؤكد أن صدام عائد لا محالة بعد أن فشل الحكام الجدد في إدارة البلاد .

مغربي، ويتواجد معهم بعض الحماية لتأمين إقامة الحدود وأحكام التعزير على المواطنين الذين يختلفون معهم ربما في الفكر وفي المنهج، وكانت مسؤولية المحكمة الشرعية التي كانت تجول في سيارتها صباح مساء، إما تصفية وإعدام من ينتسبون إلى الحكومة العراقية وقتلهم أو اختطافهم والمساومة عليهم، أو تطبيق أحكام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التى كانت تحكم على بعض الناس بالتعزير « الضرب المبرح» ، وتأخذ السلاح والهويات من التائبين عن العمل في الحكومة وتجعلهم تحت المراقبة في بيوتهم لا يخرجون منها إلى دوائر حكومية، كما كانت هذه المحكمة الشرعية معنية بتحريم بيع وشراء السجائر، وفسخ عقود الزواج ممن تزوجن من قوات الشرطة.

ويرى قائد الشرطة أن الأمريكيين ربما كانوا يريدون بتغاضيهم عن نشاطات المقاتلين خاصة المنتمين إلى القاعدة أن يزيدوا إجرامهم ويشجعونهم على استهداف رموز المجتمع المدنى حتى ينتفضوا ضدهم حيث تم اعتبار من يساهم فى أى تنظيمات مرتبطة بالنظام الرسمى العراقى عملاء من وجهة نظر المقاتلين أو الحكام الجدد للمنطقة وهو ما حدا بالكثير من شيوخ المنطقة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد شويش إلى الانسحاب من أى تنظيمات محلية مرتبطة بالدولة العراقية أو القوات الأمريكية .

ويشير قائد شرطة الضلوعية إلى أن حضور القائد فى تنظيم دولة العراق الإسلامية « أبو عبيدة الجزائرى » واسمه الحقيقى محسن كبير إلى الضلوعية كان العلامة الفاصلة حيث صارت كل أمور المنطقة بأمره منذ العام ٢٠٠٦ وأصدر الكثير من الفتاوى ضد العاملين بالدولة والشرطة تحديدا منها أن من يزوج ابنته لشرطى يقام عليه الحد وتعتبر ابنته زانية وهو ما أدى إلى إضعاف موقف قوات الشرطة وأصبحت عاجزة حتى عن حماية نفسها وهو ما جعل الأهالى يلجأون إلى المقاتلين لحمايتهم وأخذ حقوقهم بعد أن حلت الإمارة الإسلامية محل الدولة العراقية الرسمية لوقت طويل قبل أن ينقلب السحر على الساحر ويتحول الأصدقاء والمناصرين إلى أعداء بفعل عناصر الدولة الإسلامية وجرائمهم البشعة التى يندى لها جبين الإنسانية والتى بدأت بفتاوى العهد الجديدة للإمارة الإسلامية ذات الصبغة المتشددة والغريبة فى أن واحد .

٧ - فتاوى

قبل أن نتطرق إلى حكايات المكتوين بنيران القاعدة وفكرها التكفيرى والجرائم

المروعة التى كان يتم ارتكابها تحت مسميات وذرائع لا تمت للدين الإسلامى بصلة سوف نعرج قليلا على الفتاوى التى أصدرها قادة الإمارة الإسلامية بعد أن صارت الأمور لهم والتى كان يستوجب مخالفتها أشد العقاب الذى كان يصل إلى القتل فى كثير من الأحيان .

حرمت هذه الفتاوى السجائر وتداولها حيث كان الباعة فى المحال يلجأون إلى لغة خاصة مع المشترين الذين يريدون شراء السجائر فكان المشترى يتفق مع البائع على كلمة « عدس مثلا» عندما يريد شراء السجائر وإذا تم ضبط أحد الأشخاص يدخن فكان يتم تعزيره فى أول مرة ثم كسر أصابعه فى المرة الثانية حتى يتطور الأمر إلى قطع يد المدخن بالكامل .. وتمتد قائمة المحرمات لتطال لحم الماعز مثلا باعتبار أن عورة الماعز ظاهرة وهو حيوان غير مستور كما تم تحريم الثلج وهو مادة حيوية فى صيف العراق القائظ بسبب عدم وجود كهرباء متواصلة تتيح تشغيل الثلاجات والمجمدات بشكل متواصل باعتبار أن الثلج لم يكن موجودا ايام الرسول الكريم وبالتالى فهو مادة محرمة لا يجوز استخدامها .. كما حرمت فتاوى القاعدة أكل الموز والآيس كريم لما لهما من دلالات جنسية !!

ويمتد التحريم إلى «السلاطة » باعتبارها تجمع بين الطماطم الأنثى والخيار الذكر وكذلك تحريم بيع الصنفين فى مكان واحد .. بينما تم تحريم جلوس المرأة على الكرسى لأنه مذكر وتحريم حلاقة السيدات « الكوافير» .

وتمتد قائمة المحرمات لتطال الكثير من نواحى الحياة بدون تفسير عقلى يبرر هذا التحريم سوى رأى الأمير أو المفتى الذى كانت تجرى له عمليات المبايعة بشكل علنى بعد نصب محكمة شرعية فى الشارع العام ويتم توقيف العابرين إما المبايعة وإما قطع الرأس .

٨ - الواوى فرخ بالتبن

تقول الحكمة الشعبية العراقية «لو ما كان الكلب حيز .. ما فرخ الواوى بالتبن» .

وتعنى هذه الكلمات أنه لولا أن الكلب الحارس للحقل متواطىء لما تمكن الثعلب من أن يعيش حتى ينجب فى التبن « قش الأرز» .. وهذا ما جرى فى الضلوعية وغيرها من مناطق العراق فقد تمكن الثعلب من الحياة والتمدد ليصبح صاحب المكان وحاكم الزمان تحت سمع وبصر القوات الأمريكية والحكومة العراقية التى وقفت عاجزة عن حماية منتسبيها وتركت قواتها الأمنية نهبا للحكام الجدد الذين أصبحوا يديرون معركة غير متكافئة لفرض النفوذ

والسيطرة على البلاد والعباد تحت راية مزيفة هى «مقاومة الاحتلال وحكومته» أرادوا من خلالها نشر أفكار لا تمت بصلة للجهاد أو المجاهدين أو كافة القيم النبيلة للدين الإسلامى حتى أن المسلحين المنتمين لتنظيم القاعدة بعد أن فرضوا نفوذهم بالكامل على الضلوعية التى أصبحت أرض النار فعليا استحلوا مراكز الشرطة بالمنطقة حيث قاموا فى شتاء ٢٠٠٦ بهدم مبنى مديرية الشرطة واستولوا على كل الأسلحة والعتاد والسيارات وطلبوا من عناصر المديرية أن يلزموا منازلهم وعدم استخدام سيارات الشرطة التى باتت ملكا للمسلحين وعندما طلب مدير الشرطة بالضلوعية العون من شرطة المحافظة لوضع حد لما يجرى أرسلوا تهديدا صريحا مكتوبا يقولون فيه للمقدم إسماعيل « يبدو أن سيارتك زايدة عليك» .

وتحت وطأة التخويف والترهيب المتزامن مع تخلى الدولة عن سلطتها لصالح سلطة المسلحين وتغاضيها عن دورها فى حماية عناصر قواتها الأمنية بات معظم هؤلاء إما منعزل فى بيته لا يقوى على مجرد الظهور بالزى الرسمى أو متواطىء مع المسلحين يقوم بدور المرشد لهم خاصة إذا عبر نقطة التفتيش صيد ثمين حتى تتلقاه إحدى المجموعات المسلحة فى الطريق وتقوم بعمل اللازم .

وبروى مرافقى فى رحلاتى إلى أرض النار شعلان العود أن نقطة تفتيش منطقة الإسحاقى التى تبعد حوالى ١٠٠ كم شمال بغداد فى الطريق إلى سامراء وتكريت كانت تقوم بهذا الدور على أكمل وجه وهو ما يسميه العراقيون « العلاسه» أو المخبر السرى لتنظيم القاعدة حتى نهاية العام ٢٠٠٧ .. حيث كانوا يقومون بعمليات تفتيش روتينية للعابرين والسيارات وإذا اكتشفوا وجود صيد سواء كان فردا أو مجموعة كانوا يبلغون عناصر القاعدة الذين يقومون بنصب نقطة تفتيش وهمية لا تبعد كثيراً عن نقطة التفتيش الرسمية ويوقفون المطلوب أو المطلوبين ويصطحبونهم إلى مراكز الاعتقال أو الذبح حيث يوجد طريق جانبى يؤدى إلى صحراء الأنبار ومنطقة بحيرة الثرثار وهو طريق مهجور كان يستخدمه تنظيم القاعدة فى تنفيذ عمليات الإعدام الفردى أو الجماعى ونصب المحاكم الشرعية التى تضم أمير المنطقة والمفتى الشرعى والسياف الذى يقوم بتنفيذ أحكام الإعدام.

ويروى شعلان أن المفتى العام لهذه المناطق كان ملحدا من الطبيعيين « الذين يقولون أن الطبيعة هى التى خلقت نفسها وينكرون وجود الله تعالى تماما » ويدعى على يوسف الجبورى « اللجى» حيث استمر على إلحاده حتى عام ٢٠٠٥ ثم انتمى بعد

ذلك إلى تنظيم القاعدة وتولى منصب المفتى بدرجة أمير وكان يحكم المنطقة الممتدة من حدود بغداد حتى الموصل مركز محافظة نينوى / ٤٠٠ كم شمال بغداد/ .

ومن المناطق المريبة التى كانت أشد خطورة بسبب غياب سلطة الدولة وتغافل الأمريكان عن نشاطات القاعدة والميليشيات منطقة تسمى « عقده ١٤ » وهى منطقة نفوذ مقسمة بين القاعدة وجيش المهدى حيث مناطق التماس بين « الدجيل وبلد» الشيعيتين و«الضلوعية والإسحاقى » السنيتين وتتميز بكثافة مزارعها وبساتينها بالإضافة إلى طرقها الوعرة والترابية خاصة تلك التى تمر ببلدة «يثرب » التى كانت معقلا لتنظيم القاعدة وكان الجميع سواء كانوا سنة أو شيعة يتحاشون المرور من هذا المكان المسكون بالموت لأنه لابد سيقوده الطريق إلى منطقة نفوذ لا يستطيع النفاذ منها .

ويروى شعلان العود أن أبناء « بلد» الشيعية على سبيل المثال وهى تبعد حوالى ٨٠ كم شمال بغداد وتضم مرقد سيد محمد بن الإمام على الهادى عندما كانوا يريدون الذهاب إلى كركوك التى تبعد ٢٥٥ كم شمال بغداد وتحاشيا للمرور على المناطق السنية التى تسيطر عليها القاعدة مثل العظيم وجبال حمرين كانوا يسافرون إلى بغداد ويستقلون الطائرة إلى السليمانية باقليم كردستان أقصى شمال العراق ثم يعودون براً إلى كركوك فى رحلة تستغرق أكثر من يوم بدلا من أن تستغرق حوالى ساعتين فى الزمن المعتاد والظروف العادية .

ويروى لى عمار النزهان وهو من أبناء الضلوعية وكان يعمل فى أحد المعسكرات الأمريكية قرب منطقة أبو غريب غربى العاصمة بغداد عندما كان يريد قضاء الإجازة مع أهله بالضلوعية التى تبعد ٩٠ كيلومترا فقط شمال بغداد وتحاشيا للمرور على مناطق شيعية تسيطر عليها ميليشيا جيش المهدى أو غيرها من فرق الموت التى كانت تقوم باصطياد السنة وخاصة أهالى الضلوعية كان يضطر للسفر برا إلى سوريا ثم يعود إلى الموصل ومنها إلى الضلوعية عبر طرق ليس بها أى تواجد للميليشيات الشيعية رغم ما يعنيه ذلك من قطع مئات الكيلومترات وضياع الساعات الطويلة للعودة إلى مقر إقامته الذى تحيط به طرق الموت من كل جانب .

٩ - الفتنة

بدأت المحاولات مبكرا للإيقاع بين السنة والشيعة فى تلك المنطقة من العراق وتحديدا بين الضلوعية السنية و« بلد» الشيعية رغم أن المواطنين عاشوا فى تلك

المنطقة عشرات السنين دون أن يحدث بينهم أى خلاف على أساس المذهب أو الانتماء وكانت الضلوعية أحد المحطات الهامة للعابرين نحو مرقد الإمامين العسكريين / الإمام على الهادى والحسن العسكرى / فى سامراء حيث كانت تستقبل المواكب الحسينية الذاهبة لزيارة المرقدين المقدسين لدى الشيعة بينما كان أبناء البلدتين يعيشون فى سلام ووئام حتى بعد سقوط نظام صدام حسين وتمركز القوات الأمريكية فى قواعدها الثلاث الموجودة بالمنطقة .

ويقول أحد الشباب الذين انضموا إلى تنظيم القاعدة بدافع الجهاد ومقاومة المحتل أن أبا عبيدة الجزائرى القيادى الكبير فى التنظيم خطط ذات مرة لتسميم أهالى « بلد» من خلال دس سم بطىء المفعول فى خط المياه الواصل إلى البلدة التى تضم أحد المراقد المقدسة لدى لشيعة وهو مرقد « السيد محمد بن الإمام على الهادى» حيث يرتاد الزوار البلدة فى مواكب حسينية مثل التى يتم تنظيمها لزيارة باقى الأئمة الذين تتواجد مراقدهم بالعراق مثل الإمام على والإمام الحسين والإمام موسى الكاظم وغيرهم .

وكشف لى « أبو الجيس» هذا السر لأول مرة حيث لم تعلن عنه القاعدة التى لم يعلم أحد من قادتها من الذى أفشى سر المحاولة ولم تعلنه أى من السلطات العراقية أو الأمريكية ربما لعدم إثارة المزيد من القلاقل أو تنبيه أى فصائل أخرى لمثل هذه الأمور .

ويروى « أبو الجيس» كيف أفاق قبل الكارثة بعد أن علم بقيام تنظيم القاعدة بدفع عشرات الآلاف من الدولارات لشراء هذا المركب السام الذى كان مخططا أن يتم تذويبه فى المياه التى يشربها أهالى « بلد » وينتهى أمرهم بعد مرور ستة أشهر على أكثر تقدير .. حيث قام بتسريب الأمر إلى أحد المسئولين وتم اتخاذ التدابير اللازمة لحماية خط المياه والحيلولة دون وصول عناصر القاعدة إليه لتسميمه .

إلا أن محاولات القاعدة لإشعال الفتنة بين السنة والشيعة فى تلك المنطقة لم تتوقف رغم محافظة أهالى البلدتين السنية والشيعية عل التعايش ولم يحصل بين الضلوعية وبلد حتى مع امتداد العمل العسكري ضد الأمريكيين على طوال ثلاث سنوات أي مشاكل إلا أن تنظيم القاعدة أعلن فى بيان رسمي بوجوب ترحيل مدينة «بلد» خلال أسبوع، وعلى سكان المدينة « الرافضة » أن يغادروها، لأنها جزء من دولة العراق الإسلامية، وفى شتاء العام ٢٠٠٦ وتحديدا الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم ٢٦ رمضان اختطفت القاعدة ١٤ من عمال مدينة بلد، بينهم

اثنان من القصّر لم يتجاوز عمرهم ١٠ أعوام واقتادوهم فى سيارة « ميكروباس» وتوجهوا بهم إلى جنوب الضلوعية وهم يصيحون « الله أكبر » ورغم محاولات الأهالي التوسط لدى أبو عبيدة وغيره إلا أن الحكم كان قد صدر ورفض قادة القاعدة الموجودون بالضلوعية إلا أن ينفذوا فيهم حكم الإعدام .

ويقول شعلان العود أن هذه المجموعة من العمال الشيعة كانوا بمثابة ابناء الضلوعية حيث ساهموا فى بناء الكثير من بيوت البلدة السنية ومن بينها جامع « الإمام على» وكان بينهم شخص يدعى على فاضل الذى تطوع ببناء بيوت للمسلحين عندما كانوا يرفعون شعار المقاومة ضد الاحتلال والجهاد على نفقته الخاصة إلا أن هذا لم يشفع له لدى قاتليه الذين كانوا ينفذون أوامر بإشعال الفتنة دون النظر إلى أى اعتبارات أخرى أو مراعاة لقيم وتقاليد ترفض قتل صبيين لا يتجاوز عمرهما ١٠ أعوام .

وتقول رواية غير مؤكدة أن المقدم عبد السلام احد كبار ضباط شرطة الضلوعية قام بتسليم الجثث إلى قيادة شرطة بلد وبذل محاولات للتخفيف من وطأة الجريمة .. إلا أن أياد خفية قامت بالتمثيل بالجثث لإثارة المزيد من الفتنة قادها العميد نبيل البلداوى مما أشعل نار الغضب التى أزكتها أطراف تريد الصيد فى الماء العكر وفتحت تلك الواقعة الباب على مصراعية لبعض الميليشيات الشيعية التي جاءت من بغداد إلى مدينة بلد أن تنتقم وهو ما أدى إلى تصفية أكثر من ٥٠ سنياً أيضاً في المدينة التى سيطر عليها جيش المهدى بالكامل لتبدأ موجة من القتل والاختطاف والتهجير القسرى طالت السنة وراح ضحيتها عدد من المصريين الذين يقيمون فى المنطقة وانقطعت العلاقات تقريبا بين المدينتين كما واكب ذلك عمليات انفصال وطلاق بين أزواج سنة وزوجات من الشيعة والعكس لتأخذ الفتنة مداها لمدة تزيد على العامين .

١٠ - الراعى

فى يوم ١٢ / ٤ /٢٠١٠ كنت أشارك فى مجلس عزاء المرحوم العقيد مشعان رميض حمادة بالضلوعية اقترب منى رجل رسم الحزن تعاريج شديدة الوضوح على قسمات وجهه النحيف .. قال لى بعد أن قدم نفسه أنه مازال يحتفظ بسجادة الصلاة الملطخة بدماء ابنه الذى ذبحته القاعدة وهو يؤدى الصلاة فوقها .

روى لى الحاج كريم عبد الله محمد الذى كان يمتلك ٨٠٠ رأس غنم يرعاها مع أولاده فى أرض الضلوعية شديدة الخصوبة أنه كان يقدم كل الدعم

للمقاتلين من عناصر القاعدة باعتبارهم مجاهدين ضد الاحتلال وكيف ردوا الجميل بذبح ابنه البكر جزاء على كرمه الشديد معهم .. قال لى أنه كان يذبح لهم فى كل مرة يأتون إلى حيث مرعاه اثنين من الأغنام ويقدم لهم الطعام بيديه .. إلا أن زيارتهم فى تلك الليلة ٣١ – ٧ -٢٠٠٧ لم تكن ككل الزيارات السابقة حيث قرأ فى عيونهم غدرا لم يدركه إلا بصرخة ألم النهاية التى أطلقها إبنه البكر قبل أن يذبحوه وهو قائم يصلى العشاء وتسيل دماؤه الزكية على سجادة الصلاة .

يقول الحاج كريم بنبرة ألم ورغبة فى القصاص أن عناصر القاعدة الذين كان يعرف بعضهم ويقودهم «واثق الحرامى » وهو من أبناء عمومته اقتادوه مع ابنه وأغنامه وجثة إبنه البكر إلى قبو تحت الأرض فى أحد البساتين الكثيفة التى تنتشر فى منطقة « الكلعة» الواقعة عند ضواحى الضلوعية ومارسوا بحقهم كل وسائل التنكيل والتجويع لمدة ١٥ يوما متواصلة قبل أن يطلقوا سراحه مع ابنه الأصغر إلا أنهم احتفظوا بجثة ابنه البكر التى عثر عليها بعد ثمانية أشهر فى إحدى المناطق النائية .. ويقسم أن الجثة كانت لشخص توفى منذ دقائق فقط وليس منذ ثمانية أشهر .. لا رائحة .. لا تآكل .. لا علامات سوى آثار الذبح ومكان السكين الذى مازال يحتفظ ببقايا الدماء الطاهرة .

روى لى الحاج كريم كيف انتقم ابنه الأصغر الذى نجا من موت محقق معه من قتلة شقيقه عندما خرج مع قوات مشتركة من الشرطة والصحوات بعد ورود معلومات بتواجدهم فى أحد المخابىء حيث تمكن الابن الأصغر من قتل ثمانية مسلحين بمفرده .

ورغم انتقام الابن الأصغر واعتقال «واثق الحرامي» إلا أن الحاج كريم مازال ينتظر قصاصا عادلا حتى اليوم وتعويضا مناسبا عن أغنامه التى كان يبلغ عددها ٨٠٠ رأس والتى ضاعت عندما ضاعت سلطة الدولة لصالح سلطة الذباحين الذين غدروا بمن استقبلهم وقدم لهم واجب الضيافة وذبح لهم الكثير من أغنامه ليكافئوه بذبح ابنه البكر وسرقة أغنامه فلا يجد الراعى ما يرعاه بعد أن تغافل الراعى الأكبر المسؤول عن الرعية وتنازل عن دوره وسلطته طوعا أو قهرا وترك الراعى الأصغر وأغنامه نهبا لذئاب العهد الجديد الذين استباحوا البلاد والعباد تحت رايات شتى .

١١ - لا أنام

عندما زرت محمود محسن عباش الذى يعمل شرطيا بمديرية شرطة الضلوعية

أشار بكثير من الفخر وبقايا من الرعب إلى منزل قريب وقال لى هذا هو بيت ابن عمه مقداد العبدون « أمير الضلوعية » الذى منع عنى النوم ثم بدأ يروى قصته مع القاعدة التى أحالت ليل أيامه إلى نهار بسبب بطولته .. قال لى « لا أنام خوفا على حياتى وإنما على زهرة عمرى بنتان وولد وزوجة طيبة» بعد أن بلغت التهديدات مداها من عناصر القاعدة وأميرها الذى يجاور منزله بيتى البسيط .

أما بداية الحكاية فكانت يوم ١٨ – ١٠ ٢٠٠٨ عندما كان محمود فى واجب اعتيادى ضمن دورية للشرطة عند نقطة تفتيش الشهداء وسط الضلوعية واقتربت منه فتاة دون العشرين ترتدى الزى المميز لنساء المنطقة تعلوه العباءة السوداء الفضفاضة لتسأل عن « المفرزة الطبية» حتى تتلقى علاجا من ألم يعتريها ورغم إجابته على سؤالها استمرت فى الاقتراب منه مع توتر واضح على ما يظهر من قسمات وجهها .. ومع زيادة اضطرابها أزاحت العباءة السوداء لتظهر أسلاك التفجير المؤدية إلى الحزام الناسف الذى ترتديه إلا أن محمود تناسى مصيره المحتوم فى هذه الحالة واندفع نحوها بسرعة البرق ليدفعها مسافة عدة أمتار قبل أن تفجر حزامها الناسف بعد الصيحة المعتادة « الله أكبر» .

وفى تلك الأثناء كان باقى جنود نقطة التفتيش قد تواروا خلف الجدران الأسمنتية القريبة واستمر إطلاقهم للرصاص فى كل اتجاه تحسبا لهجوم مباغت ممن أرسل هذه الفتاة الانتحارية التى نجحت القاعدة فى تجنيدها لتقوم بقتل عناصر نقطة التفتيش مع اختيار توقيت دقيق هو تغيير الوردية حتى يتجمع أكبر عدد من الجنود وقت تسلم الواجب .

فتح محمود جهاز التليفون المحمول الذى يحتفظ عليه بفيلم قصير لنهايات المشهد المؤلم تظهر فيها بقايا الانتحارية وأشلاءها المتناثرة جراء الانفجار الذى أطاح بكتلة أسمنتية كبيرة وأدى إلى حريق محدود فى بقايا النخيل الموجود بالمكان.

قال لى محمود أن الفتاة التى نفذت هذا الهجوم المروع كانت تتمتع بقدر كبير من الجمال ولم تتجاوز الثمانية عشر عاما إلا أن شياطين الإنس تمكنوا من إقناعها بتفجير نفسها انتقاما لزوجها علي إبراهيم فارس (ضابط شرطة ترك العمل في الشرطة وانتمى لتنظيم القاعدة وقتل في منطقة نائية مع احد عناصر القاعدة ويدعى عبدالله الملك وقد اتهم في حينه الجيش الإسلامي بقتلهما)

(وفي تلك الفترة كان قتال بين الجيش الاسلامي والقاعدة، وكانت الشرطة في الضلوعية بتوجيه من الأمريكان غض الطرف عن الجيش الإسلامي ، لاستمرار

عمليات التصفية لعناصر الفصيلين.

ويروى محمود كيف بدأت مضايقات تنظيم القاعدة وتوالت التهديدات ليترك عمله فى الشرطة إلا أنه أصر على البقاء بعد أن اقترب كثيراً من الموت وكاد يلقى حتفه فى هذا الهجوم الانتحارى .. إلا أن النوم ظل عصيا عليه عدة اشهر حتى تم تطهير الضلوعية بالكامل من عناصر القاعدة والمسلحين .

١٢ - هضيمه .. شهداء الكراهية

يتثاءب صبر هضيمه قليلا فاسحا المجال لقطرات من الدموع تنهمر ساخنة على وجنتين غادرهما البهاء وفم لم يعد يعرف سوى كلمات من لغة الحزن يتوسط وجها فعلت به الأحداث ما لم يفعله الزمن والعمر الذى قارب الخمسين حفرت فيه المأساة درب شقاء لا ينتهى راسما خطوط وتعاريج كثيفة غطت ملامحه الأصلية الذى زادت عمق أخاديده مرارات وقائع مذبحة أبطالها أربعة شهداء كانت الكراهية دافعا وحيداً لقتلهم .

سعدون أحمد مشلب زوج هضيمه وأبنائهما الثلاثة حكيم ومحمد وأحمد أبطال مذبحة مروعة تأبى أن تذهب إلى زوايا النسيان رغم مرور السنين .. وكما تقول هضيمه تسبقها دموعها الساخنة أن دماءهم لن تجف أبدا وتتساءل بمرارة بأى ذنب قتلوا ؟!.

إلتقيت هضيمة فى منزلها شديد التواضع على حدود منطقة منخفضة تؤدى إلى بساتين كثيفة الأشجار تسمى «هور شهاب» وهو طريق ممتد يخضع لنفوذ الجماعات المسلحة المرتبطة بتنظيم القاعدة ينتهى إلى مدينة كركوك ولا توجد فيه أى مظاهر لسلطة الدولة العراقية حتى منتصف العام ٢٠٠٨ .. روت لى تفاصيل المأساة وكيف استقرت رصاصات المجرمين فى أحشاء زوجها وأبنائها الثلاثة قبل أن يهرب مرتكبوا الجريمة ويتركوها تصارع الموت فى ليل حالك السواد.

تقول هضيمه أن مجموعة مسلحة ترتدى ملابس قوات الصحوة هاجمت منزلهم فى ليلة ١٢ يناير عام ٢٠٠٨ وكان أول من تلقى رصاصاتهم القاتلة هو الأب سعدون الذى سقط صريعا وعلى وقع أصوات الرصاص انطلق الابن أحمد فى محاولة لمعرفة ما يجرى فى مدخل المنزل فتلقى ضربة على رأسه بأخمص البندقية طرحته أرضا .. وهرعت زوجته لترتمى فوقه تستعطف المهاجمين حتى لا يقتلوه وهو لم يمضى على زواجه منها سوى أربعة اشهر إلا أن قرار إنهاء حياته كان قد صدر

مسبتا لينهى أحد المهاجمين حياته برصاصة فى الجبهة التى تزينها علامة السجود .

أكمل المهاجمون مهمتهم كما تروى هضيمه واقتادوا الشقيقين حكيم ومحمد إلى خارج المنزل لينفذوا فيهما حكم الإعدام وسط بستانهما الذى ارتوى بدماء من زرعوه وروووه قبل أيام بعرقهم .. إلا أن المهمة لم تكتمل حيث كان الشقيق الرابع فى مقر عمله بقوات الصحوة وفشلوا فى معرفة مكانه رغم ما أذاقوه لنساء المنزل من ضرب وتعذيب .

تقول هضيمه أن القتلة أعادوا المحاولة فى ثانى أيام مجلس العزاء حيث هاجموا المعزين المتواجدين بسرادق العزاء فى محاولة لقتل الشقيق الرابع أكرم مما أدى إلى إصابة عدد منهم ونجا أكرم للمرة الثانية من القتل .

روى لى أكرم الذى ترك عمله فى الجيش بسبب التهديدات وانتمى لقوات الصحوة التى طردت القاعدة فيما بعد كيف جرى اختطاف أبيه وشقيقه حكيم قبل الهجوم بعدة أيام بسبب شكوك قالوا أنها تستحق تأديب من يشكون فيه بسببها وهى العمالة لصالح الأمريكان رغم أن الأب سائق تاكسى بسيط لا يملك إلا قوت يومه يمضى ساعات طويلة على الطريق بين الضلوعية وتكريت ليأتى فى نهاية اليوم بالخبز الحلال لأولاده وبناته .

يتساءل أكرم لماذا كل هذا العنف ؟؟ لماذا حرموه من أبيه المكافح ؟؟ لماذا حرموا شقيقه حكيم من أن يفرح بإنهاء دراسته ونيل شهادة البكالوريوس ؟؟ لماذا قتلوا شقيقه محمد الذى لا يريد إلا النذر اليسير من حقه فى الحياة يستعين على حاجته بالشقاء والسعى لكسب الرزق الحلال ؟؟ لماذا حرموا الرضيع مصطفى من أن يرى أبيه أحمد الذى رحل بعد أربعة أشهر فقط من الزواج كان هو ثمرتها ؟؟ لماذا حكموا على عروس أحمد أن تسعى للانتقام وتعيش مكلومة تنتظر عدالة السماء بدلا من أن تنتظر زوجها الشاب الذى لن يأتى أبدا ؟؟ .

قالت لى هضيمه أنها ألحت لتواجه قتلة زوجها وأبنائها الثلاثة الذين تعرفت عليهم وهم قيادات معروفة بالقاعدة لتسألهم عن سبب جريمتهم فرد أحدهم بتبجح « أنا أكرههم فهم متفوقون فى كل شيء .. الأخلاق .. الدراسة.. العمل .. حتى لعب الكرة!!».

غادرت هضيمه تطاردنى ملامح وجهها الذى بات جامداً حجرياً لا يعبر عن فرح أو حزن وإنما حيرة ودهشة .. عينان جاحظتان من كثرة البكاء على شهداء الكراهية تنتظران إجابة شافية عن سؤال حارق « بأى ذنب قُتلوا ؟؟ ».

١٣ - حويجة الجابر

فى قلب نهر دجلة تمتد مساحة واسعة من الأرض شديدة الخصوبة لحوالى ١٥٠ دونم / الدونم ٢٥٠٠ م/ تضم بساتين كثيفة من البرتقال والليمون والتفاح ومختلف أنواع الفواكه الصيفية والشتوية تسمى حويجة الجابر حيث تواجه مجموعة من المنازل الفخمة تسمى « الجوانين» أو منطقة مشروع الماء .. كانت هذه المنطقة محرمة على الجميع بمن فيهم ملاك أراضيها وبساتينها الخصبة حيث كانت تخضع لنفوذ قادة « دولة العراق الإسلامية» .. لا يستطيع رجل أو طفل أن يسبح فى نهر دجلة المحيط بها ولا يستطيع فلاح الوصول إليها بعد أن صارت تلك البقعة الطيبة الخصبة مزروعة بالموت تفوح منها رائحة البارود وتحول « دجلة الخير» إلى نهر من الدماء ليس فيه سوى الكراهية والموت .

تحولت تلك الجزيرة شديدة الخصوبة إلى مخازن للأسلحة والمتفجرات بعد أن كانت مزروعة بأطيب الثمرات تفوح منها رائحة معطرة بزهور البرتقال والتفاح والمشمش والليمون حيث إستغلها قادة القاعدة ملاذا آمنا ومخزنًا لأسلحتهم ومقرا لإحدى محاكمهم التى تنتهى محاكماتها فى أغلب الأحوال بالموت وذلك بسبب موقعها الفريد وسط مياه نهر دجلة بناحية الضلوعية وما يتوافر لها من حماية طبيعية بالمياه تجعل الوصول إليها مستحيلا إلا بإنزال جوى محفوف بالمخاطر .

فى منطقة «الجوانين » المواجهة لحويجة الجابر كان يقع منزل « حاجى خالد» وهو الأمير العسكرى لمحافظة صلاح الدين الذى انتقل فيما بعد إلى منطقة بات يطلق عليها « حى الوزراء فى أطراف الضلوعية سيأتى ذكرها فيما بعد بينما استمر إخوته وهم من العناصر الفاعلة فى تنظيم القاعدة يقيمون بالمنزل وعلى بعد ١٥٠ متر تقريبا من منزله يقع منزل أحد أمراء القاعدة الخطرين وهو عدنان خليل فرج الذى صدر بحقه حكم بالإعدام فى ٢٩ أبريل عام ٢٠٠٨ فى قضية اختطاف وقتل الشيخ ناجى جباره الجبورى بينما ثبت تورطه فيما بعد فى جريمة بشعة كان ضحيتها أحد وجهاء المنطقة ويدعى شكر محمود حسين الذى كان بمثابة عم لعدنان إلا أن تلك القرابة لم تمنع تنفيذ الحكم الصادر بحقه من قادة الدولة الإسلامية ليلقى مصيره المحتوم بسبب صراحته الزائدة وإنتقاده الدائم لجرائم تنظيم القاعدة التى كانت قد بلغت ذروتها عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ .

روى لى أحد سكان المنطقة كيف تم تنفيذ حكم الإعدام فى الشيخ شكر بعد اتهامه بالإبلاغ عن مخزن سلاح تابع لتنظيم القاعدة رغم أن الرجل مشهور

بشهامته ورجولته وأخلاقه الطيبة ورفضه القاطع للتعاون مع الاحتلال .. ولم تتوقف الجريمة على قتل الرجل بل تجاوزتها إلى قتل إبنه محمود بعد أن توصل إلى خيوط تقود إلى مرتكبى جريمة قتل والده قرر على أثرها الإنتقام .. فيما تم قتل زوج ابنة «شكر» لأنه كان شيعيا من أهل الجنوب رغم ما يحظى به من مكانة فى منطقة الضلوعية السنية بسبب أخلاقه التى يشهد بها الجميع إلا أن هذا الأمر قد بات معتادا فى زمن المذبحة وفقا للقانون الذى سنه حكامها ونفذوه بدقة لينشروا الرعب والموت فى أرض الخير ويجعلوا منها مناطق محرمة على أهلها الطيبين .

عندما زرت الضلوعية « أرض النار» للمرة الأخيرة فى صيف ٢٠١٠ كانت الجزيرة « حويجة الجابر» قد إستعادت نضارتها وباتت روائح الثمار الطيبة تفوح منها من جديد .. وبعد أن لبيت دعوة كريمة على غداء عراقى فى منزل أحد وجهاء المنطقة استمتعت بجولة نهرية فى قارب صغير يطلق عليه العراقيون « بلم» بفتح الباء واللام كنت أشارك فى قيادته بتحريك أحد مجدافيه بينما يحيطنى أطفال من المنطقة يسبحون حاملين براءتهم على سطح النهر هربا من حرارة الصيف الذى تجاوزت درجات الحرارة فيه ٥٣ درجة مئوية يؤدون بعض الحركات البهلوانية فرحا بالضيف المصرى العزيز ولإثبات قدرتهم على الترحيب الممزوج بالمرح بعد أن حرموا كثيراً من الضيوف عندما كانت منطقتهم من أخطر مناطق «أرض النار» .

قال لى مرافقى شعلان العود الجبورى مبررا هذا الفرح والمرح أن تلك المنطقة كانت محرمة على أهلها .. فما بالك بالضيوف .. ضحك شعلان متسائلا « تدرى لو كنت فكرت بالمرور من هنا قبل ثلاثة أعوام فقط ؟؟ » .. أجبت باسما أعلم جيدا .. وسارع أحد الأطفال الذين يسبحون حول قاربنا ليقول بكل ثقة « كانوا سووك كباب عمو » أى كانوا عملوك كفته!! .

١٤ - الأمير الغامض

ومن الروايات المثيرة التى تؤكد وجود أمور مريبة وتقاطعات للمصالح بين أطراف نافذة كانت تعمل على استمرار تدهور الأمور بدعم كل الجهات التى تمارس العنف والتخريب بالعراق رغم التناقض الفكرى والمذهبى والأيديولوجى هى حكاية « أبو عبد الله محارب الجبورى » الذى كان يحمل لقب وزير الإعلام بدولة العراق الإسلامية وكان يتولى منصب « أمير الشمال» حيث تمتد منطقة نفوذه من بغداد حتى

كركوك التى تبعد حوالى ٢٥٥ كم شمالا والموصل ، ٤٠٠ كم شمال بغداد .

وتشير الحكايات التى يرويها أهالى الضلوعية عن « الأمير الوزير» أنه كان موظفا فى كلية صدام للحقوق التى يقع مقرها فى منطقة الكاظمية « نسبة للإمام موسى الكاظم الإمام السابع لدى الشيعة الجعفرية، وهى منطقة خاضعة بالكامل لنفوذ جيش المهدى، والمليشيات الشيعية وسميت الكلية بعد ذلك « كلية الحقوق » حيث كان محارب يدرس الماجستير وتضطره وظيفته ودراسته إلى الذهاب بشكل دائم شبه يومى إلى المنطقة الشيعية الخاضعة لنفوذ خصوم القاعدة الألداء كما هو ظاهر للجميع وهم عناصر الميليشات الشيعية دون أن يتعرض لأيه مشاكل أو توقيف أو اختطاف أو قتل .

حمل محارب الجبورى فى البداية لقب « أمير سرايا الغرباء» بعد أن اتخذ طريقا مغايرا لرفاقه حيث تولى مؤيد متعب سالم منصب « أمير شمال بغداد للجيش الإسلامى» الذى خاض قتالا ضاريا فيما بعد مع تنظيم القاعدة فى عدة مناطق بدعم من القوات الأمريكية بينما اختار أبو منار العملى خط « المرجئة» وهؤلاء الرفاق وغيرهم كانوا ضمن التيار السلفى الذى برز بالعراق عام ١٩٩٩ حتى بدأ استقطاب الشباب المتدين ليتلقى دورات اسلامية تدرس الفكر المتشدد وهى الدورات التى خرجت أمير تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوى ..وبعد احتلال العراق فى إبريل عام ٢٠٠٣ تبنوا مثل غيرهم من العراقيين خاصة الملتزمين دينيا قضية مقاومة الاحتلال إلا أن الصراع العشائرى بين محارب الذى صار أحد أمراء القاعدة ومؤيد متعب الذى صار أميرا للجيش الإسلامى دفع بمحارب إلى استغلال العرب الراغبين فى الجهاد ضد الأمريكان وتدعيم قيادته داخل تنظيم القاعدة ثم دولة العراق الإسلامية حتى صار الرجل الثالث فيها قبل الإعلان عن مقتله الغامض فى منطقة الغزالية غربى العاصمة بغداد الذى تضاربت حوله الروايات الرسمية أمريكيا وعراقيا وحتى بين عناصر تنظيم القاعدة أنفسهم .

ويروى لى أحد الشباب الذى عمل فترة طويلة تحت راية القاعدة لمقاومة الاحتلال أن المقاتلين العرب أحكموا سيطرتهم على تنظيم القاعدة وخاصة قائد يدعى « أبو الفدا » وبدأوا فى إصدار الفتاوى الغريبة والدعوة إلى إغلاق المدارس والجامعات وتعطيل الحياة والمؤسسات الخدمية بدعوى أنها ضمن ولاية الاحتلال الأمريكى بالإضافة إلى منع النساء من السير والخروج إلى الشارع وغير ذلك من الفتاوى وعلى رأسها إغلاق مديرية الشرطة بالضلوعية وعدم مصاهرة أى عنصر من الشرطة وهو ما

أثار الناس ضدهم ودفع بالقيادات العراقية إلى الاعتراض .. حيث أصدر محارب الجبورى فتوى بعزل ٢٧ من الولاة العرب والوقوف ضد تلك الفتاوى .

وتم توجيه الدعوة إلى محارب لحضور اجتماع هام فى العاصمة بغداد لتصفية الأجواء وإنهاء الخلافات بين القادة العراقيين فى تنظيم القاعدة والقادة العرب الذين قويت شوكتهم وأصبح الأمر بيدهم وتم قتله فى المكان المحدد للاجتماع وتولت القوات الأمريكية والعراقية أمر الإعلان عن مقتله ونشر صور لجثته التى بدت منتفخة وتؤشر إلى مرور عدة أيام على مقتله عندما تم عرض صور الجثة على شاشات التليفزيون مما يدل على أنه تم العثور على الجثة بعد مقتله وليس كما أعلن وقتها عن مقتله فى عملية عسكرية مشتركة .

وروى لى أحد الصحفيين العراقيين الذين كانوا يرتبطون بصلات وثيقة مع قادة القاعدة فى ذلك الوقت أن الشيخ نجم النعيمى الذى كان يتولى منصب والى صلاح الدين أمر بتفجير مبنى إدارة حماية الطرق الخارجية فى منطقة البوعجيل التابعة لتكريت مركز محافظة صلاح الدين ١٧٥ كم شمالى بغداد من خلال هجوم انتحارى راح ضحيته عشرات القتلى والجرحى وهو الهجوم الذى أثار خلافا شديدا بين قادة القاعدة المحليين والقادة العرب وجاءت الأوامر إلى أحد أهم القادة العرب ويدعى «عيسى الريس» بالتنحى وكان مقربا من محارب الجبورى وتم استدعاء عيسى إلى سوريا ليلتقى بمسئول القاعدة لمنطقة شرق أوروبا وكان الهدف من اللقاء هو تزكية المقاتلين العرب ومنحهم دورا أكبر وهو ما أدى إلى تمكن هؤلاء المقاتلين من السيطرة بشكل شبه كامل على المناطق وأصبحوا قادة فعليين للعمل العسكرى وهو ما حدا بمحارب الجبورى الذى كان يعتبر الرجل الثالث بالتنظيم ذلك الوقت إلى إصدار قرار بحل التنظيمات وتصفية بعض العناصر مما أثار عليه بعض القيادات العربية بالتنظيم داخل العراق ودبروا له كمينا فى بغداد وقتلوه وأبلغوا بعد ذلك القوات الأمريكية والعراقية بمكان الجثة .

وقد أكد لى الملا ناظم الجبوري وهو أحد الستة الذين أسسوا مجلس شورى المجاهدين بالعراق وكان أحد أهم قيادات الدولة الإسلامية قبل أن ينقلب على تنظيم القاعدة ويؤسس مجلس إسناد الضلوعية الذى طرد التنظيم مع قوات الصحوة أن محارب الجبوري لم يقتل على أيدى القوات الأمريكية أو القوات العراقية وإنما قتلته القاعدة وتحديدا المقاتلون العرب بعد خروجه على توجهاتهم بسبب الصراع بين القيادات العراقية والعربية داخل التنظيم وهو ما أدى إلى وجود

أصل الصراعات وهو تبني العرب لقرارات لا تمثل للسنة نتائج مريحة، وليس فيها ثمار معينة لأهل السنة.

وأشار الملا ناظم إلى أن هناك العشرات من قيادات القاعدة تم تصفيتهم بسبب ذكرهم كلمة خوارج أو اختلافهم على تولي العرب لإمارات معينة، أو بسبب مخالفتهم لقتال الجيش الإسلامي أو إظهار صور جنود الجيش الإسلامي على الإعلام وهم يعدمون من قبل تنظيم القاعدة.

١٥ - اللص والحرامى

عندما روى لى أهالى الضلوعية القصة التالية تذكرت « ريشه الطبال» فى فيلم دم الغزال الذى قامت ببطولته مجموعة رائعة من الفنانين وأدى دور «ريشه» الفنان محمود عبد المغنى وكان طبالا ونموذجا للرذيلة وأصبح أميراً لإحدى المجموعات التى مارست العنف فى الأحياء الشعبية الفقيرة فى مصرنا المحروسة تحت راية الحفاظ على شرع الله ومحاربة مخالفيه رغم أنه استمر يمارس كل أنواع الرذيلة لكن هذه المرة بغطاء القوة المسلحة التى يتيحها الانتماء إلى جماعات العنف .

«وليد عبد الله عياش» أمير بدرجة والى تقع تحت مسئوليته القيادية وفق منظومة القاعدة فى بلاد الرافدين المنطقة التى تغطى الطريق من بغداد العاصمة إلى قضاء بلد / ٨٠ كم شمال بغداد/ كان هذا الأمير القائد لصا من أرباب السوابق وتحول فى زمن الفتنة إلى أمير يدين له المئات وربما الآلاف من المقاتلين بالولاء والطاعة .. كانت إشارة واحده من يده الملوثة بجرائم السرقة كفيلة بإنهاء حياة أحد العابرين على هذا الطريق مهما كانت درجته العملية أو صفته الشخصية أو مكانته العشائرية ويبدو أن درجات الإمارة كان يتم توزيعها بقدر كميات الدماء التى يتسبب القاتل فى هدرها ولهذا كان عياش أميرا من الوزن الثقيل وأصبح اعتقاله الذى جرى فى خريف عام ٢٠٠٧ بمثابة الإمساك بكنز من المعلومات .

ويروى أحد المسئولين الأمنيين قصة اعتقال هذا الأمير اللص المسئول عن مئات الجرائم من الاختطاف والقتل والسلب حيث وردت معلومات بأن الهدف موجود فى منطقة زراعية يحيطها جبل وتلال ووديان تسمى « خر نصر» وهى محاذية لمحافظة ديالى ويقود واديها الممتد إلى منطقة نهر العظيم على الحدود بين محافظتى ديالى وصلاح الدين حيث خطوط الإمدادات الرئيسية لمقاتلى تنظيم القاعدة .. وجرى التنسيق بين قوات الشرطة وعناصر الصحوات ورجال العشائر الذين استعدوا لهذا

الصيد الثمين بكل ما يلزم من العدة والعتاد والرجال فالأمير اللص لم يكن مجرما بالشبهة وإنما صدرت ضده عدة أحكام بالإعدام فى جرائم كان مسئولا عنها أما بالفعل أو الأمر .

وبعد معركة ضارية بين مقاتلى القاعدة من عناصر حماية الأمير اللص والقوات المشتركة تم القاء القبض على عياش الذى كان أول أمير من تنظيم القاعدة يتم اعتقاله وجرى احتجازه فى سجن تكريت الواقع داخل أحد القصور الرئاسية وسط تكريت وتتولى قوة عراقية إدارته إلا انه تمكن فى عملية نوعية من الفرار مع ١٥ معتقلاً من عناصر القاعدة مساء الأربعاء ٢٠٠٩/٩/٢٤ بعد أن قاموا بخلع نافذة دورة المياه وتسللوا عبر سلالم أحد أبراج المراقبة وأوضحت التحقيقات الأولية أن هؤلاء المعتقلين الخطرين ربما تلقوا مساعدة من الداخل ولهذا صدر قرار بطرد العقيد محمد صالح الجبوري مسؤول جهاز مكافحة الإرهاب في المحافظة وتوقيف عدد كبير من المنتسبين لإدارة السجن .. وتمكنت القوات الأمنية من اعتقال الأمير اللص بعد يومين من فراره فى مزرعة بمنطقة البوعجيل القريبة من تكريت وتبين أنه كان العقل المدبر لعملية الهروب الكبير .

أما الحرامى فهو واثق عبد الله لطيف الجبورى شقيق محارب الجبورى وزير إعلام دولة العراق الإسلامية الذى نصبه أميراً على ولاية صلاح الدين وتتناقض الروايات حول تسميته بالحرامى وهو لقب جده الرابع إلا أن من يروى لى سبب التسمية من أهالى أرض النار يقولون «يا ليت هذا المجرم كان حراميا وليس ذباحا » .. وأصبح للحرامى شأن كبير فى دولة العراق الإسلامية خاصة بعد مقتل شقيقه الوزير فصار صاحب المشورة والرأى فى كثير من القضايا والمخطط لجرائم بشعة تم تنفيذ الكثير منها فسالت دماء الأبرياء .

ويروى أن الجريمة التى تم التخطيط لها ولم تنفذ بستر من الله اعترف بها الأمير الحرامى بعد اعتقاله ويقول أهالى الضلوعية أن هذه الجريمة لو قدر لها أن تتم لكانت واحدة من أبشع الجرائم وأكثرها ضجيجا من حيث عدد الضحايا .. هذه الجريمة التى لم تنفذ بستر من الله كانت تبدأ بعملية اختطاف للشيخ حسين على صالح شيخ الجبور بالضلوعية وهو رجل يمتلك الكثير من الحكمة والثروة ويحظى بحب واحترام بالغ من الجميع وبعد أخذ الفدية التى تقدر بعشرات الآلاف من الدولارات يتم قتل الشيخ كما جرت العادة وعند تشييع الجنازة التى كان يفترض أن يرتادها المئات من الشيوخ والوجهاء والمواطنين من أبناء عشيرة الجبور لوداع شيخهم يقوم انتحاريون من القاعدة بمهاجمة المشيعين بسيارات مفخخة وقنابل وهى جريمة

لو تم تنفيذها بهذا التخطيط المحكم فإن الضحايا من القتلى سيكونون بالمئات .

أما الجريمة التى اشرف الأمير الحرامى على تنفيذها فراحت ضحيتها أسرة بكاملها حيث أصدر المجرم أمرا بقتل المقدم زياد ابراهيم خليل قائد سرية الحرس الوطنى السابق بالضلوعية خلال عامى ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ وهو مشهور بوطنيته وحبه لأهله حيث استقال بعد رفضه مشاركة القوات الأمريكية فى عملية عسكرية بمدينة سامراء .. ورغم استقالته إلا أن حكم الإعدام قد صدر بحقه من قبل تنظيم القاعدة حيث تم قتله بعد قتل ابنه أمام عينيه وهو ما أدى إلى وفاة الزوجة المكلومة بفقدان الزوج والابن أمام عينيها .

١٦ - ابن حمده

ماذا يمكن أن يصدر من شخص تآمر على قتل والده بعد أن قام الوالد والزوج المخدوع بقتل ابن عمه بعد اكتشاف علاقة غير شرعية بينه وبين زوجته حمده .. كيف يمكن أن يكون سلوك « ابن حمده» عندما يصبح بيده أمر البلاد والعباد فى زمن المذبحة بلا رادع ولا حساب ؟ .. وكيف يمكن تصنيف الحالة النفسية لرجل ينسب إلى والدته التى يعلم الجميع سلوكها بعد أن غيب السجن والده عندما ارتكب جريمة قتل دفاعا عن شرفه ؟ .. ماذا يمكن أن يفعل « ابن حمده» عندما يتولى منصب قائد سرية الاغتيالات فى تنظيم بات الأمر بيده عندما غابت سلطة الدولة الحقيقية ليحل محلها مستندا إلى فكر يعتبر الجميع كفارا ما لم يكونوا ضمن عناصر هذا التنظيم ؟ .

عندما تسلمت القوات العراقية « إبن حمده» واسمه الحقيقى خلف محمد حسين من القوات الأمريكية نهاية عام ٢٠٠٨ بعد أن بدأ سريان الاتفاقية الأمنية بين بغداد وواشنطن وبدأت نهايات تنظيم القاعدة فى المناطق السنية التى مثلت الحواضن والملاذات الآمنة للتنظيم عندما جاء تحت راية الجهاد ضد القوات الأمريكية سقطت كل الأقنعة وتوالت الاعترافات التى كشفت ما وراء الحجب التى ينزوى خلفها قادة وأمراء القاعدة .. بينت الاعترافات كيف كان القتل غاية والتشفى متعة والشر مذهب والحقد مبدأ .. أوضحت الاعترافات مدى التواطؤ الرسمى وغير الرسمى الذى كرس دولة القتل والرعب فى زمن المذبحة وكيف تمكن العرابون من بيع البلاد والعباد لصالح أجندات لا تسعى إلا لخراب الذمم وقطع طريق الخير وإنهاء النخوة وتغييب الشجاعة وضرب الكرم وإنهاء حياة الكرام وبث الرعب فى نفوس الصغار قبل الكبار فى مسلسل من القتل العبثى

بأفظع الأساليب حتى أصبح الموت بعيدا عن أعين الأبناء آخر أمنية لأى أب جاء موعد تنفيذ حكم الإعدام فيه .

روى لى قائد شرطة الضلوعية المقدم محمد خالد عبد الحميد كيف « صادرت» القوات الأمريكية ابن حمده عندما تم اعتقاله من جانب قوات الشرطة بلا سبب واضح غير أنه مطلوب لديهم رغم تواجدهم طوال الوقت بالمنطقة التى كان يمارس فيها جرائمه على مرأى ومسمع منهم.

قال المقدم عبد الحميد أن قواته وضعت خطة لاعتقال أو قتل « ابن حمده» عندما كان يزف إلى عروسه فى حفل زفاف إسلامى لقطع رأس الفتنة بعد أن استباح المنطقة وحتى يكون إنذارا لما تبقى من فلول تنظيم القاعدة بأنه لا سكوت بعد اليوم على جرائمهم التى طالت الجميع ،حيث تم رسم الخطة لتتبع موكب العرس ومحاصرته لاعتقاله أو قتله .

وتمكنت قوات الشرطة من تحديد السيارة التى يستقلها « ابن حمده» حيث كان متخفيا فى زى امرأة ويستقل سيارة « ميكروباس» مع مجموعة من النساء حتى يصطحب زوجته من منزلها وألقت القبض عليه بدون أى نقطة دم ،عندئذ ظهرت القوات الأمريكية وطلبت اصطحابه لأنه مطلوب لديهم حتى استعاده العراقيون ليبدأ مشوار كشف الحقائق .

على مدى ١٥ ساعة استمرت التحقيقات مع « إبن حمده» التي بدأت من الثالثة عصرا وحتى السابعة صباحا وكان المحقق شقيق أحد الضحايا حيث يتولى مركزا أمنيا مرموقا ورفض نصائح الزملاء بألا يكون ضمن فريق التحقيق حتى لا يفقد أعصابه عندما تبدأ اعترافات القاتل ويصف كيف نفذ جريمته فى شقيقه بلا رحمة أو ضمير ولماذا قتله بلا سبب غير أنه تلقى أمراً بذلك من أميره العسكرى « أبو عبيده الجزائرى » الذى جرى اعتقاله فيما بعد ويوجد حاليا فى سجن « المشتركة » بتكريت انتظارا للقصاص العادل .

روى « ابن حمده» كيف إرتكب جريمته عندما إقتحم مع مجموعة مسلحة بيت سبهان خلف حمد الموظف فى مفوضية الانتخابات عندما كان يقضى ليلة صيفية هادئة مع زوجتة وأولاده فى حديقة المنزل هربا من قيظ يوليو وأبلغوه أن قرارا بإعدامه صدر وأنهم جاءوا لتنفيذه وعندما سألهم عن السبب قالوا نحن ننفذ حكم الإعدام فقط عندما يأمرنا قائدنا العسكرى الذى يأمر غالبا بإعدام المرتدين « حيث أن الموظف فى الدولة العراقية يعتبر مرتدا فى حكم القاعدة» .

يقول « ابن حمده » أن سبهان توسل بهم إلا ينفذوا حكم الإعدام أمام زوجته

وأطفاله بعد أن نطق الشهادتين إلا أن الأمر قد صدر بتنفيذ الإعدام على مرأى من الأسرة لبث الرعب الشديد فى نفوس أفرادها ونفوس كل من يفكر فى التعامل مع السلطة التى يعتبرها تنظيم القاعدة كافرة .. توسلت الزوجة بأن يرحموا زوجها فهو موظف لا يؤذى أحدا والوظيفة هى مصدر دخله الوحيد .. إلا أن كل التوسلات وبكاء الأطفال لم يثنى كتيبة الإعدام التى سارعت بإطلاق رصاصات الغدر فى رأس وصدر سبهان .

اعترف « ابن حمده» بكل الجرائم الأخرى التى ارتكبها تنفيذاً لأوامر « أبو عبيده الجزائرى» كقائد سرية الإغتيالات والتى كان آخرها قتل أحد الشباب الذى كان ينوى الالتحاق بكلية الشرطة حتى يكون أيضا عبرة لغيره من الشباب الذى يمكن أن يفكر فى الإنتماء لقوات الأمن العراقية .

وإلحاقا لاعترافاته بكافة الجرائم المرعبة التى ارتكبها منفردا أو ضمن مجموعات يجرى تدريبها على الاختطاف والقتل بدون تفكير فى ماهية الضحية أو الجريمة التى ارتكبها ليستحق عليها القتل ، اعترف « ابن حمده » كيف تآمر على قتل والده عندما أنهى عقوبة السجن لمدة ١٧ عاما بتهمة قتل ابن عمه بعد اكتشاف علاقة غير شرعية تربطه بزوجته « حمده» .

روى القاتل أنه إتفق مع أبناء عمومته على استدراج أبيه الذى خرج من السجن ودفع الفصل العشائرى الذى قضى برحيله من البلدة إلى كركوك وذلك بإعطاء الوالد الأمان حتى يعود إلى بلدته ويعيش وسط أهله وأبنائه وعندما استجاب الرجل رغبة فى إنهاء حياته وسط أهله نصب الإبن كمينا لوالده انتقاما منه على التشهير بأمه « حمده» وقتله هو بدم بارد ولهذا ينسب لوالدته .

قال لى أحد القادة الأمنيين فى الضلوعية أن الظروف غير الطبيعية والشاذة التى نشأ فيها « ابن حمده» جعلت منه شخصية شاذة وكان يبحث عن أى دور فى مجتمعه العشائرى الذى لا يقيم وزنا لمثله حتى حانت الفرصة وأصبح أحد أهم عناصر تنظيم القاعدة ليمارس كل ما يمكنه من جرائم مرعبة ويفرض سطوته ضمن دولة أقامها حكام المرحلة الجدد وفرضوا قانونها الخاص الذى لا يقيم أى وزن لغيره من القوانين التى رسخت على مدى مئات بل آلاف السنين وهى قوانين الحياة الطبيعية والقادة الطبيعيين والسلوكيات الطبيعية .

١٧ - جحش التوحيد

فى يوليو عام ٢٠٠٦ صدرت أوامر تنظيم القاعدة بإكمال تطهير الضلوعية

ممن تصفهم بالكفار وعملاء والاحتلال وكان الهدف هذه المرة مجموعة تابعة لفكر « المرجئة » يتخذون من مسجد أبو بكر الصديق مقرا لهم يقيمون فيه صلواتهم ومحاضراتهم الدينية حيث يقول « المرجئة، كما أوردنا سابقا بإرجاء فكرة الجهاد فى الوقت الحالى بسبب عدم تكافؤ القوة مع القوات المحتلة ويعتبرهم تنظيم القاعدة كفارا حيث يقولون « مالم تجاهد فإنك كافر» .. وكان التنظيم قد اغتال شيخ المسجد حكمت حسن حماش بعد صلاة العشاء فى أحد أيام ربيع عام ٢٠٠٦ .

وتولى الإمامة خلفا للشيخ حماش الشيخ عبد الوهاب حسن صالح وكان شقيقه ينتمى لتنظيم القاعدة ويحتل موقعا تنفيذيا مهما لكونه ينفذ الأوامر بطريقة عمياء وبغباء شديد دون مناقشة وكانوا يطلقون عليه « جحش التوحيد » ولهذا صدرت له الأوامر باعتقال كل المصلين الذين يقيمون الصلاة خلف شقيقه الإمام باعتبارهم من المرجئة الكفار وكان عددهم فى تلك الليلة ١٨ مصليا بينهم شخص يدعى زهير صالح وهو ابن عم الشيخ نجم العبد الله الزوبع الذى قاد إحدى تشكيلات قوات الصحوة التى تقاتل القاعدة بدعم من الأمريكان وهو كان مبرراً لتنفيذ حكم الإعدام فيه بعد عمليات تعذيب بشعة تعرض لها كذلك أحد أساتذة الجامعة ويدعى ياسر خلف جادر وأسامة جاسم زوبع وكان طالبا بالكلية العسكرية وتعرض لعمليات ضرب وتعذيب وهددوه بالقتل ما لم يترك الكلية العسكرية ورغم إطلاق سراحه إلا أنه لم يمتثل للتهديد وتخرج من الكلية عام ٢٠٠٧ وتولى أمره أحد قيادات القاعدة بالمنطقة ويدعى عدى علوان حيث اختطفه من الشارع العام بالضلوعية وبعد فترة أعلن عن مقتله إلا أنه لم يعثر على جثته حتى الآن .

وروى أحد المعتقلين لى كيف مارست القاعدة بحقهم شتى أنواع التنكيل والتعذيب، قبل أن تطلق سراحهم بعد عدة أيام ما عدا زهير الذى جرى تنفيذ حكم الإعدام فيه بعد أن تم اقتيادهم إلى ناحية مسعدة القريبة من الضلوعية وتسليمهم بعد ذلك إلى مجموعة أخرى اقتادتهم إلى ناحية ابن جبير بمحافظة ديالى وبعد وجبة ضرب وتعزير قاسية تم احتجازهم فى بيت ريفى يعود إلى ما يسمى بالهيئة الشرعية لتنظيم القاعدة وجرى تقسيمهم إلى قسمين حيث جرى التحقيق معهم مصاحبا للضرب مع « أبو عبيدة الجزائرى» وذلك بتهمة تشكيل تنظيم يسمى « الرايات السود» والذى أتهمته القاعدة بالتحريض ضدها وقتالها بسبب منشورات كانت توزع فى عدة مناطق تحمل شعار التنظيم الذى لا يعلم أحد حتى الآن ماهيته أو قادته .. إلا أن مخالفة السلفيين الذين يرفضون إطلاق لقب المرجئة

عليهم لتنظيم القاعدة ودعوتهم بتأجيل الجهاد ضد القوات الأمريكية كانت مبررا لاعتبارهم يقفون خلف تنظيم الرايات السود .

ويقول أحد المعتقلين الناجين الذى طلب عدم ذكر اسمه لأسباب عديدة أنه دار بينه وبين أبو عبيدة الجزائرى حوار مطول عن أمور شرعية خاصة أهمها رفض السلفيين قتل الشيعة واعتبارهم روافض وقبولهم بالانتماء إلى الجيش والشرطة ومؤسسات الدولة وكذلك رفض السلفيين إعلان الدولة الإسلامية فى ظروف مثل تلك التى يمر بها العراق فى ذلك الوقت .

كانت الحوارات الدينية تدور بشكل حاد بسبب اختلاف الجانبين فى أمور كثيرة وهو ما كان يوجب قتلهم جميعهم إلا أن إرادة الله شاءت أن يوافق الأمير القاعدى على إطلاق سراحهم بعد أن عجز عن الرد على هذا المختطف الذى يمتلك الحجة القوية كما يبين الحوار الذى دار و رواه لى خاصة بعد أن علم بمقتل زميلهم زهير حيث سأل أبو عبيده أتقتلون رجلا لمجرد شهادة غير وافية الأدلة قال له أبو عبيده « نحن نقتل لمجرد الشبهة وعلى الله حسابه فإذا كان مظلوما غفر له الله ».

ازدادت المناقشة حدة كما يروى لى وقال لأبو عبيده « تكفرون الجيش والشرطة لأنهم يداهمون المساجد بالسلاح والأحذية وأنتم داهمتم مسجدنا بنفس الطريقة » .. رد أبو أبوعبيدة «أن ما يجوز للجهاد لا يجوز لغيره ونحن نفعل أى شيىء لصالح الجهاد والمجاهدين » .

ويؤكد المعتقل الناجى أن المناطق التى تم اقتيادهم إليها والتحقيق معهم فيها كانت تحلق فوقها المروحيات الأمريكية وكان صوتها ملحوظا جدا لأنها كانت تحلق على ارتفاعات منخفضة .

وفى وثيقة حصلت عليها عبارة عن أوراق التحقيق مع أحد قيادات القاعدة اعترف فيها بأن المختطف الوحيد الذى تم قتله فى هذه العملية وهو زهير جرى إعدامه حتى قبل التحقيق معه بسبب شهادة من جحش التوحيد بأنه استقبل أمريكيين فى بيته وضيفهم وهى جريمة رآها القاضى الشرعى سببا كافيا لتنفيذ حكم الإعدام فى الرجل الذى كانت كل جريرته أنه أحد موظفى الدولة العراقية وان كانت وظيفته لا تمت بأى صلة للسياسة أو الأمن وإنما كان موظفا فى دائرة المياه !!!

كان « جحش التوحيد» هو بطل هذه العملية التى قام خلالها ومن معه من مسلحين بضرب أخيه ضربا مبرحا دون مراعاة أن يكون إمام المسجد هو شقيقه فالولاء للتنظيم يفوق أى ولاءات أخرى يعتبرها المنتمون ولاءات مزيفة وزائلة .

١٨ - الله لا يرحمه

يروى « أبو عمر» وهو يتولى مركزاً مرموقا فى إحدى الوزارات الأمنية العراقية رغم أنه سنى من أهالى الضلوعية أنه إلتقى ذات مرة بمقاتل سورى كان أميرا لمنطقة تمتد من الضلوعية لتشمل مناطق نفوذ القاعدة فى الطريق إلى سامراء وخاصة منطقة الإسحاقى وروى له كيف غادر العراق وترك منصب الإمارة فى الدولة الإسلامية بداية العام ٢٠٠٧ عندما طلب منه قياديون بالتنظيم ترك مهمة ضرب القوات الأمريكية والتوجه لتنفيذ عمليات ضد الموظفين ومنتسبى القوى الأمنية وخاصة القيادات من أبناء الطائفة السنية لإجبارهم على ترك العمل لأنه جاء من بلده بهدف الجهاد ومقاومة المحتل مثل غيره من المجاهدين الحقيقيين الذين كانوا يدفعون الغالى والنفيس ليتمكنوا من الوصول إلى العراق لمقاومة الاحتلال وتولى إمارة المنطقة بدلا منه شخص يدعى « أبو رحمه» لم يكن يذكر أهالى المنطقة اسمه إلا متبوعا بالقول « الله لا يرحمه» وقد نفذ هذا الأمير مخطط الفتنة كما هو مرسوم بل مارس من عمليات القتل والاختطاف والتعذيب ما لم يكن مطلوبا منه حيث مارس كل صنوف الإجرام ضد سكان المنطقة تحديدا والعابرين الذين يقودهم الحظ العاثر للمرور عبر إحدى نقاط التفتيش التى يقيمها على الطرق .

كان « الله لا يرحمه» واسمه الحقيقى « أواب الخلايلة » ويرتبط بصلة قرابة مع أمير تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوى / ابن خالته/ ضخم الجثة أشقر ذى عينين زرقاوين يثير الرعب لمجرد ذكر اسمه حيث تبنى أقصى درجات العنف والقسوة البالغة وكان يجد أى مبرر للقتل وكان يفضل استخدام المنشار الكهربائى فى عمليات الذبح وكان ينتقى عناصره من الساقطين وأرباب السوابق ويمدهم بالمال والسلاح حتى يمارسوا كل أنواع الترهيب والتعذيب بحق الأبرياء .

ويروى « أبو عمر» أنه تلقى سيلا من التهديدات ليترك منصبه الأمنى الهام إلا أنه رفض وهو ما أدى إلى استهدافه حيث قامت عناصر من تنظيم القاعدة يوم السبت ١٢ — ٢- ٢٠٠٧ بمداهمة منزله الساعة الخامسة فجراً لقتله إلا أنه لم يكن موجودا بالمنزل آنذاك لالتحاقه بالعمل وتصدت الزوجة الشجاعة للمهاجمين وأطلقت عليهم وابلا من الرصاص استيقظ على إثره الجيران والأهل القريبين من منزل « أبو عمر »الذى علم بما جرى وآثر البقاء فى بغداد وعدم العودة إلى الضلوعية حتى هدأت الأمور وانكسرت شوكة القاعدة.

وتتوالى القصص المروعة حول الجرائم التي ارتكبها تنظيم القاعدة في تلك المنطقة التى كان يحكمها « الله لا يرحمه» أو غيرها من المناطق التى حاربها التنظيم بدون استثناء، وقتل أبناءها من كافة العشائر بغض النظر أن هذا خزرجي أو جبوري [1] سواء كان سنيا أو شيعيا، واستمرت تلك الحرب لتتنوع بين خطف الناس ومقايضتهم بالفدية والحصول على مئات الآلاف من الدولارات وعمليات الخطف ثم القتل، وغير ذلك من العمليات البشعة من قطع الرؤوس وقطع أعضاء الجسم باستخدام المنشار الكهربائي حتى تبين للمنطقة أنهم ينفذون أجندة خارجية ويأتمرون بأوامر مخابرات دولية، تنفذ أجندتها على أرض العراق وإذا كان هناك من يرفض الربط بين تلك الأجندات عمداً إلا أنها التقت على هدف واحد هو التخريب والترويع .

ويروى شقيق أحد ضحايا القاعدة ، الذي كان يعمل سائق تاكسي من تكريت مركز محافظة صلاح الدين التى تبعد ١٧٥ كم شمال بغداد إلى الضلوعية، وقامت عناصر تنظيم القاعدة باختطافه يوم ٢٠٠٧/١٠/٢٤ في منطقة الركة، بدون أي سبب لأنه غير مرتبط بأى جهة ولا يعمل مثل من يقولون أنهم مرتدين بالشرطة والجيش، كان هذا السائق العائل الوحيد لعائلة تتكون من أمه وأبيه وطفليه الاثنين وزوجته .

قامت مجموعة مسلحة من تنظيم القاعدة بخطف السائق الذى لا يعلم شيئا عن السياسة أو القتال أو غير ذلك من الأمور وإنما كان همه الوحيد جلب الرزق لعائلته ، وبعد ثلاثة أيام ألقوا رأسه في منطقة الإسحاقى بدون جثة .

١٩ - إسبح بالدم ، تلقى برده

فى شتاء العام ٢٠٠٩/٢٠١٠ خلال إحدى زياراتى لأرض النار « الضلوعية» كان العشاء فى منزل السيد طالب الشيخ حمد الجبورى أو « حجى طالب» كما ينادونه وهو مدير الأمن الوطنى « أمن الدولة» ودارت أحاديث الحاضرين لدعوة العشاء من القادة الأمنيين ووجهاء المنطقة حول الأوضاع التى يمر بها العراق وسيناريوهات المستقبل ومدى قدرة القوى الأمنية على فرض الاستقرار مع تربص الخلايا النائمة من تنظيم القاعدة بالمناطق السنية وكذلك فرق الموت والميليشيات التى كانت تسيطر على المناطق الشيعية .. ومع تناول أقداح الشاى العراقى حاول مضيفنا التخفيف من حدة التوتر الذى كان يبعثه الحديث عن

(١) الخزرج والجبور من عشائر المنطقة .

المخاطر والتطورات غير المريحة على الساحة السياسية مع اقتراب موعد الانتخابات النيابية وعلت الضحكات مع إلقاء بعض الأشعار الساخرة والنكات المصرية والعراقية بالإضافة إلى الروايات التى تؤرخ لذكريات بعض الحاضرين حتى اتجهت ناصية الحوار إلى مقارنة ما نروية من أشعار ونكات وما كان يردده عناصر تنظيم القاعدة والمتعاطفين معهم حتى دق جرس تليفون « حجى طالب» المحمول ليبلغه المتصل بانتحار واحد من أخطر المطلوبين وهو معتقل لدى القوات العراقية ويدعى « على بللوز» الذى ينتمى إلى عشيرة الخزرج حيث وصفه الحاضرون بأنه أخطر المجرمين ولا توجد عملية قتل أو اختطاف بالمنطقة إلا وكان طرفا فيها منفذاً أو مخططاً أو معاوناً يسهل أمر التنفيذ وكان آخرها الهجوم الإنتحارى الذى استهدف جامع الخلفاء وكان خطيبه الملا ناظم الجبورى أحد القادة الستة الذين شكلوا مجلس شورى المجاهدين مع أبو مصعب الزرقاوى ثم انشق على التنظيم وتعرض لعدة محاولات اغتيال أحدها هجوم انتحارى يوم ٢٠ أبريل عام ٢٠٠٩ سهل « بللوز» دخول المهاجم الانتحارى إلى المسجد فى عملية راح ضحيتها أربعة شهداء أحدهم كان أهالى المنطقة يطلقون عليه « عباد الشمس» لأن برنامجه اليومى وخط سيره لا يتغير أبداً من المحل الذى يملكه إلى المسجد ثم المنزل والثانى شخص بالغ الطيبة والمودة يدعى إبراهيم ينطبق عليه قول الله تعالى « تحسبهم أغنياء من التعفف» وهو موظف بسيط يسعى لتأمين المأكل الطيب لأسرته والثالث طالب بالثانوية العامة كان يقرأ القرآن بين الآذان والإقامة قبل صلاة العشاء والرابع شخص متدين من أهالى المنطقة لا تفوته صلاة جماعة فى المسجد .

أبلغنى « حجى طالب» بأن « بللوز» كان قد تم اعتقاله عقب هذا الهجوم الانتحارى بحوالى ثمانية أشهر وكان بمثابة كنز من المعلومات نظرا لما يمتلكه من أسرار حول عمليات تنظيم القاعدة بالمنطقة وغيرها من المناطق وهو ما جعل جميع الحاضرين ينهون الحوارات وتختفى البسمة وحالة الارتياح تدريجيا من على وجوههم لتحل حالة من الوجوم وقام الجميع لينهون الجلسة التى بدأت صاخبة تغلفها المشاعر الطيبة والحوارات الثرية والذكريات الجميلة لتنتهى حوارات الذكريات والأشعار الساخرة بأهزوجة كان يرددها عناصر تنظيم القاعدة ومن يدعموهم أو يتعاطفون معهم واشتهر بترديدها هذا المجرم وهى « اسبح بالدم تلقى برودة .. وصباح الشر تزهى وروده» .

وبعد عدة أيام قبل أن أغادر المنطقة علمت أن « بللوز» لم يتمكن من الانتحار وإنما تم إنقاذه بعد أن تعاطى كمية كبيرة من المخدرات حتى تبلد إحساسه ولم

يعد يشعر حتى بوخز السكين فى جسده حتى ظن القائمون على السجن أنه انتحر ومات .. وبقدر ما كان خبر انتحاره فاجعا مثيرا للضيق والحسرة ، كان خبر إنقاذه مثيراً للفرح جعل أهالى المنطقة خاصة العالمين بالأمور يتبادلون التهنئة لسبب بسيط وهو أن هذا المجرم يمتلك الكثير من الأسرار والمعلومات عن حوالى ٩٠ فى المائة من الجرائم المروعة التى اكتوت أرض النار وأهلها والمناطق المحيطة بها كما أنه يمكن أن يكشف الكثير من الحقائق عن التواطؤ بين المجموعات المسلحة وبعض المسئولين الأمنيين من الجانبين العراقى والأمريكى ذلك التواطؤ الذى أسهم فى تسهيل عمل القاعدة منذ البداية خاصة مع تنفيذها أجندات القتل الأعمى وإثارة الفزع بين أهالى محافظة صلاح الدين خاصة وباقى المناطق العراقية بشكل عام فى أخطر مرحلة من زمن المذبحة تلك الفترة التى تولى أمرها نماذج من تلك التى تسبح بالدم لتشعر بالبرودة وتتفاءل بالشر لتزهى وروده السامة .

٢٠ - حى الوزراء

عندما وصلنا إلى نهاية الشارع العام لناحية الضلوعية وقبل مسجد « الإمام على بن أبى طالب » عرجنا إلى ممر ضيق غير معبد يطلق عليه اسم « ممر التورنة» وتعنى باللهجة العراقية « المخرطة» حيث كان يتم فيه تصنيع السلاح والمتفجرات ويجرى به تفخيخ السيارات لتنطلق إلى مقصدها ، يؤدى هذا الممر إلى منطقة على ضفاف نهر دجلة كانت تسمى « نقرة الشرح» حيث كانت منخفضا من الأرض تدخل إليه مياه فيضان نهر الخير .

كان يقيم فى « نقرة الشرخ» ثلاثة من كبار قادة تنظيم القاعدة هم على اليوسف وهى المفتى الشرعى لولاية صلاح الدين وفق التنظيم الإدارى لدولة العراق الإسلامية وخالد الحبيب الملقب « حاجى خالد» وهو الأمير العسكرى لقاطع سامراء حتى محافظة ديالى بالإضافة إلى وهاب الصحو الذى كان يشغل منصب أمير سرايا الغرباء وهو المسئول عن عمليات الاغتيال التى تستهدف العراقيين خاصة «الجنود والمترجمون وعناصر الشرطة» وكذلك وليد عبد الله العياش وهو أمير لواء سامراء وهو ما جعلها تحمل اسم « حى الوزراء ».

تتميز المنطقة بكثافة بساتينها تكثر بها أشجار الموالح والنخيل والأشجار الكثيفة ولا يسكن بها أحد سوى قادة القاعدة وعائلاتهم وتتميز بطبيعتها الجغرافية الاستراتيجية حيث يحدها نهر دجلة الذى يمكن من خلاله العبور إلى منطقة صحراء العظيم أحد أهم مراكز نفوذ تنظيم القاعدة وكذلك إلى

محافظتى ديالى وكركوك مما يجعلها منطقة شديدة الأهمية تنظيميا واستراتيجيا وأدى ذلك إلى انتقال عدد من عناصر التنظيم للإقامة بالقرب من أمرائهم فى تلك المنطقة التى كانت عنوان دولة العراق الإسلامية فى « أرض النار» حيث كان قادتها يقيمون الحدود ويتولون توزيع المحروقات والإشراف على إمدادات مياه الشرب والكهرباء والغاز بالإضافة إلى صندوق الشكاوى الذى كان يتم من خلاله معرفة مشاكل سكان المنطقة وحلها على الطريقة الإسلامية .

روى لى أحد سكان المنطقة التى تحاذى حى الوزراء كيف كان يجرى التخطيط والانطلاق لتنفيذ العمليات من داخل هذا الحى الذى يسكنه الرعب ولا يجرؤ كائنا من كان على الاقتراب من تخومه دون إذن من أمراء الموت .

ويقول « أحمد» أنه رأى ذات مرة عملية تفخيخ لسيارة عائدة لأحد الشيعة من سكان بلدة الدجيل التى تبعد ٦٠ كم شمال بغداد قتله أحد عناصر القاعدة ويدعى مثنى الحشماوى وأرسل سيارته إلى على الصحو الذى أمر بتفخيخها فى منزل أحد جنود الدولة الإسلامية ويدعى كمال عدوان بمشاركة شاب سعودى حضر إلى العراق للجهاد ضد الأمريكان وكان طالبا بالسنة الثانية بكلية الطب وينتمى لعائلة ثرية يدعى « زين » وبعد أن سلم « الأمير المفتى الشرعى على اليوسف » مبلغ مائة ألف دولار قاد السيارة المفخخة ليفجرها بالقرب من دورية أمريكية إلا أنها لم تسبب أية خسائر سوى تدمير المنزل الذى جرت عملية التفجير بجواره ويعود لرجل ثرى يدعى « حاجى مؤيد» .

ويقول أحمد أنه عندما كان يؤثث منزله على تخوم حى الوزراء حيث يمتلك قطعة أرض هناك حضر إليه ملثمون وطلبوا منه أن يترك المكان لبعض الوقت لأنهم يحتاجون المنزل وبالطبع استجاب الشاب لأنه يعلم نتيجة عدم الاستجابة وترك لهم المنزل الذى كان قد اكتمل بناؤه وفى طور التأثيث ، وما كان من الملثمين إلا أن أطلقوا قذيفة هاون باتجاه منطقة بلد الشيعية القريبة وردت القوات الأمريكية من إحدى القواعد القريبة وهى قاعدة القدس التى كانت أحد مقرات جيش القدس التابع لصدام حسين ثم صارت قاعدة أمريكية بعد الاحتلال و أصبح اسمها « معسكر بلواده» ، وكانت النتيجة تدمير منزل أحمد بالكامل جراء القصف الأمريكى الموجه لموقع إطلاق الهاون ليعيد أحمد بناءه من جديد بعد أن مضى عصر الدولة الإسلامية ولقى قادتها مصيرهم المحتوم بالقتل أو الإعتقال وأولهم المفتى الشرعى الذى لقى مصرعه عند اعتقاله بتهمة اختطاف وقتل الشيخ ناجى جباره.

٢١ - نساء القاعدة

نسوة شاحبات يتشحن بالسواد لا يملكن حاضراً ولا أمل فى مستقبل قريب

بعد أن ذهبت أيام المجد عندما كن زوجات أو شقيقات لأمراء ووزراء في الدولة الإسلامية ، وقبل أن يتعاطف معهن زائر أو يرق لحالهن يبادرن بالقول أن الفرج قريب وستعود دولة العراق الإسلامية بفرسانها وستفرض القاعدة سطوتها من جديد وسيعود لهن النفوذ والبهاء والعز الذى ذهب بعد أن اعتقل أو قتل الأمير والوزير الذى كانت تهتز له مناطق ونواحى وتدين له رؤوس وشوارب .. أنهن نساء القاعدة الزوجات والشقيقات للقادة والأمراء والوزراء اللاتى كن ينعمن بالغنائم التى تأتى من كل حدب وصوب حتى أن أشقاء وليد وبارق العياش على سبيل المثال وهما اثنين من أمراء التنظيم اعتقل أحدهما « وليد» عام ٢٠٠٧ بينما قتل «بارق» فى نفس العام كانوا يمتلكون ٦٠٠ رأس غنم قبل أن تضيع الثروة ويعيشون على بيع حليب بقرة يتيمة تشاركهم منامهم فى بيت من الطين « زريبة» .

• الشقيقات

عائلة تفتت بين سلطتين ،سلطة شرعية لا وجود لها ممثلة فى القوات الأمنية العراقية ،وسلطة فرضتها سطوة القوة وقوانين زمن المذبحة ممثلة فى أحد أمراء دولة العراق الإسلامية التى ضمت تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين مع عدة تنظيمات أخرى بايعت على إقامة دولة موازية للدولة التى تعتبرها كافرة وليس لها حق الطاعة أو الولاء .

أربعة شقيقات للمفتى الشرعى لولاية صلاح الدين وفق نظام الدولة الإسلامية «الأمير «على اليوسف » جاء نصيب اثنتين منهن مع رجلى شرطة قبل أن يظهر نشاط القاعدة للوجود فى أرض النار بينما تزوجت إحداهن بأحد أمراً التنظيم ويدعى سعد محمد الفارس وهو ينتمى إلى عشائر الجبور وتزوجت الأخرى من أحد مقاتلى القاعدة ينتمى لعشيرة البوجوارى بعد أن صار الشقيق الأكبر أميراً بالقاعدة .

وكما كانت تجرى الأمور فى ذلك الوقت صدرت الفتوى من الزوجين المنتمين لتنظيم القاعدة بقتل الزوجين المنتسبين لقوات الأمن حيث كانا وفقا لأحكام الدولة الإسلامية «مرتدين » كإجراء لتطهير العائلة منهما وتصحيح الأوضاع لتعود الزوجتان إلى بيت الشقيق الأمير أرملتين .. وبعد أن دارت الدائرة على تنظيم القاعدة ليجرى على القاتل ما جرى على القتيل ويلقى نفس المصير ولو بعد حين عادت الشقيقتان تتجرعان نفس الكأس بعد أن صارتا أرملتين لتعيشان فى بيت واحد مع من ترملتا على أيدى زوجيهما القاعديين ، إلا أن سطوة الشقيق الأكبر الذى ظل محتفظا بمكانته بعض الوقت منعت الاحتكاك والتناحر بين الشقيقات اللاتى كتب

عليهن الشقاق وحل العداء بديلا عن الرحمة بسبب قوانين زمن المذبحة التى ألغت قوانين الطبيعة الراسخة لتحيل حياة العراقيين إلى جحيم لا يدرى أحد من أين أتى .

بعد مقتل «الأمير » على اليوسف عاشت الشقيقات الأربعة فى كنف الأم المسنة والأب العجوز الذى لم ينله من نعيم الغنائم ما يقيم أوده حتى أن القوات الأمريكية عندما داهمت المنزل ذات مرة عثرت على حقيبة مليئة بالدولارات فى وقت كانت الأسرة تعانى فيه أشد حالات العسر والضيق ماديا وإنسانيا بعد أن انفض عنها المريدون والأتباع وفرضت عليها ما يشبه العزلة لأن أحداً لا يريد أن يتعامل مع عائلة تسبب ابنها ومعاونوه فى تغييب العشرات وربما المئات من شباب المنطقة وشيوخها بسبب فتاوى التكفير التى كانت لا تستثنى أحدا .. بات طريق الحرير الذى كان يؤدى إلى منزل الأمير طريقا ترابيا يجتازه المارة والسيارات بعناء شديد وبات المنزل الذى كان أحد مقرات حكم الدولة الإسلامية معزولا لا يقوى ساكنوه على إضاءة مصباح كهربائى واحد لأنهم لا يملكون ثمن بنزين المولد .

يقضى أفراد الأسرة نهارهم فى زراعة قطعة الأرض المحيطة بالمنزل ليأكلن ما تنتجه من خضروات أو فاكهة بسيطة تكفى بالكاد للبقاء على قيد الحياة بعد أن جف نهر الغنائم ومضى زمن العز الذى لم يبق منه سوى ذكريات باتت تعرف طريقها إلى زوايا النسيان وأحلام غير مكتملة فى عودة سلطة ذهبت إلى غير عودة .

• زوجة الأمير

فى نصف منزل متواضع تقضى زوجة خالد الحبيب الأمير العسكرى السابق لولاية صلاح الدين بدولة العراق الإسلامية وقتها الرتيب مع طفليها مهاجر ذى الأربعة أعوام وزينب ذات الست سنوات بعد أن جرى اعتقال الزوج المهيب الجانب عام ٢٠٠٨ ونفاذ ما تبقى من حصاد أيام الحكم عندما كان الزوج « الأمير» يملك بإشارة واحدة من يده مصادرة المال والحلال « المواشى» والسلاح وأى ممتلكات تعود لأى « مرتد» من عناصر السلطة العراقية أو أحد عناصر أجهزتها الأمنية ليصبح كل ذلك غنائم حرب لقائد عسكرى فى دولة نصب قادتها أنفسهم حاكمين باسم الإسلام .

كان خالد الحبيب أميرا بكل ما تحمله الكلمة من معنى يمارس طقوس الحاكم بأمره فى كل شيء يقضى فى كل أمر من أمور حياة ولاية صلاح الدين التى كان يشغل منصب أميرها العسكرى ،تأتيه الغنائم من كل حدب وصوب ، يتلألأ منزله العامر بأضواء المصابيح المبهرة فى وقت تعج فيه غالبية مناطق العراق فى ظلام دامس وتعيش زوجته المعتزة كزوجة أمير ، ترتدى أبهى الثياب ، وأثمن الحلى ، تقوم على خدمتها تابعات يملأن المنزل العامر بكل الخيرات .

بعد اعتقال « الأمير» الذى طال أغلقت زوجة الأمير الباب على نفسها وأطفالها واضطرت لتقسيم المنزل إلى جزئين تقيم مع أسرتها الصغيرة فى جزئه الأصغر بينما تؤجر الجزء الأكبر لتعيش من ريعه الذى يكفى بالكاد طعام وشراب زوجة الأمير السابق وأولاده الذين كانوا يرتعون فى خيرات غنائم الغزوات التى أحرقت الذرع والضرع وأثمرت خرابا وحرائق وعائلات بلا عائل وأطفال يتامى وزوجات أرامل وأمهات ثكالى والتهمة الجاهزة هى « الردة» .

• الأم الحائرة

فى بيئة مواتية داخليا وخارجيا لتكون حاضنة للإرهاب يصبح الانتماء إلى تنظيم القاعدة أو غيره من التنظيمات المسلحة أمرا طبيعيا ، بينما يصبح الانتماء إلى الجيش أو الشرطة أو حتى قوات الصحوة التى حاربت القاعدة وقضت عليها مجرد رد فعل غير مأمون العواقب خاصة داخل أسرة واحدة تضم كل هذه الأطياف .

فى عائلة تضم مقاتلين بالقاعدة والجيش الإسلامى وجندى بالجيش الرسمي وأحد عناصر الصحوة يقف الأب يحركه العقل والطبيعة الخيرة موقف الضد من ولديه المنتميان للمجموعات المسلحة التى تقاتل الدولة وموقف المناصر للشرعية المتمثلة فى السلطة الفعلية وسلطة المجتمع والعشيرة التى رفضت الفكر التكفيرى وعمليات القتل والأعمى وغيرها من السلوكيات التى دمرت المجتمع الآمن وأحالت هدوءه إلى جحيم ودمار .. فيما تقف الأم مقسومة إلى جزءين من تؤيد ومن تعارض فالجميع ابناءها وهى أم قبل أى شيء .

عائلة شلال جاسم العراقى الطيب الذى يشتهر بالأخلاق الحميدة حتى صارت كل البيوت مفتوحة له ,فرض واقع أرض النار أن يكون أبناؤه الأربعة إما مقاتلين بالقاعدة أو فى قوات الأمن العراقية ، انتمى ولداه عبد الرحمن وأزهر إلى القاعدة والجيش الإسلامى بينما انتمى ولداه الآخران غيث إلى قوات الصحوة وليث إلى الجيش العراقى .

روى لى غيث أن شقيقه عبد الرحمن انتمى إلى تنظيم القاعدة بعد اعتقاله بلا سبب عام ٢٠٠٥ حيث كانت السجون الأمريكية بالعراق مدارس تخرج المتطرفين وتهيىء الشباب المعتقل بلا ذنب لأن يصبحوا إرهابيين حقيقيين ،أما أزهر فقد انتمى للجيش الإسلامى فى أول الأمر ثم انضم لتنظيم القاعدة فيما بعد حيث يعتبر خاله محمد الفارس من أشرس مقاتلى التنظيم بينما كانت البيئة المحيطة

بالأسرة حاضنة مثالية للأفكار المتطرفة التكفيرية .

ويقول غيث أنهم يسكنون بجوار قيادات بالقاعدة مثل وليد العياش ويحد منزلهم جامع البخارى الذى كان مكانا لتفريخ عناصر القاعدة وهو ما أدى إلى انخراط الشقيقين بشكل كامل فى تنظيم القاعدة وأصبحا من أشد عناصره استجابة لأوامر القادة فى الاختطاف والقتل حتى بلغ الأمر بالشقيق « أزهر» أن يصدر بيانا يهدر فيه دم والده الذى يعارض توجهه وشقيقيه لعدم امتثالهما لأوامره بالانضمام لسلك القاعدة والجهاد خاصة بعد أن انضم ليث للجيش وانضم غيث لقوات الصحوة التى كان نشاطها قد بدأ بدعم أمريكى لمقاتلة القاعدة نهاية العام ٢٠٠٦ .

لم يعد منزل شلال جاسم يتسع للأبناء الأربعة بعد أن لفظ الأب ولديه اللذين انضما للقاعدة وأعلن براءته منهما رغم ما يحيط بذلك الأمر من مخاطر ليس أقلها القتل أو تفجير المنزل ،إلا أن وجود الأم المقسمة بين الأبناء المتحاربين وتعاطفها مع ولديها القاعديين ربما منعهما من تفجير منزل العائلة انتقاما من الأب والشقيقين « المرتدين» .

فى ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٧ لقى أزهر مصرعه أثناء مشاركته فى هجوم على قوات الشرطة بينما لقى عبد الرحمن مصرعه بانفجار حزام ناسف فى منطقة العظيم وهى أحد مراكز نفوذ القاعدة عام ٢٠٠٨ ، وكان رد فعل الأب مثيرا حيث هدم خيمة العزاء فى الحالتين وقال بصوت عال « المجرم لا يقام له خيمة عزاء » وهو ما كان سببا فى عدم وجود مطالب عشائرية بالثأر منه ومن إبنيه الآخرين بسبب جرائم القتل والاختطاف التى ارتكبها الشقيقان القاعديان حيث يقضى القانون العشائرى ب « الفصل» فى حالات القتل وهو ما يعنى دفع الدية أو الدم من جانب أهل القاتل وهى حالات ظهرت وسوف تظهر يجد فيها الآباء والأشقاء أنفسهم مطالبون بدفع ثمن جرائم ذويهم الذين انتموا للقاعدة أو غيرها من التنظيمات المسلحة التى مارست القتل ضد العراقيين تحت مسمى الجهاد .

وفى خلفية هذا المشهد تقف الأم الحائرة بين نارين ، نار الفقد لاثنين من الأبناء دفعت بهما الظروف والبيئة المحيطة للإنتماء للقاعدة وسلوك طريق الموت المحقق أو الاعتقال ولم تكن تمتلك القوة على البراءة منهما مثلما فعل الأب ،ونار الثأر الذى ينتظر الابنين الآخرين اللذين إذا شفع لهما قتالهما ضد تنظيم القاعدة وخلصهما من الثأر العشائرى فإنه لن يشفع لهما وسيكون مبرراً لثأر التنظيم الذى تعرض لضربات موجعة لكنه مازال يعمل بنشاط ازداد خلال الفترة الأخيرة بسبب التراخى الأمنى والأجواء السياسية المتشنجة التى أتاحت له مجالا

جيدا للحركة والانتقام خاصة من عناصر قوات الصحوة.

٢٢ - رواية جديدة

كما كانت حياته مثيرة للجدل ،باتت نهايته أكثر إثارة بعد أن نسجت حوله الحكايات والقصص الخيالية إبان توليه منصب أمير القاعدة فى بلاد الرافدين وتأسيسه مجلس شورى المجاهدين الذى انبثقت منه « دولة العراق الإسلامية» بعد مبايعة عدة تنظيمات جهادية ودخولها تحت ولاية تلك الدولة التى جرى رسم حدودها وتعيين وزرائها وقادتها فى معزل عن الدولة العراقية القائمة بالفعل .

ولسنا هنا فى موضع الحديث عن حياة أبو مصعب الزرقاوى وإنما عن نهايته التى روى لى أحد الشباب الذين كانوا على مسافة قريبة من التنظيم ووقائع عملياته بحكم الظرف المكانى ،كما كان أكثر قربا من واقعة مقتل الزرقاوى وتحديداً كيف ذهب إلى مصيره المحتوم ليتم قصفه فى منزل بناحية هبهب التابعة لمحافظة ديالى على بعد حوالى ٥٥ كم شرق العاصمة بغداد فى يونيو عام ٢٠٠٦ ليدق مقتله المسمار الأول فى نهاية دولة العراق الإسلامية وتنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين .

فى ربيع عام ٢٠٠٦ قتلت قوات حرس إقليم كردستان « البيشمركه» التى يتواجد فوج منها فى إحدى مناطق ناحية الضلوعية ثلاثة من عناصر تنظيم القاعدة ذوى المكانة المتميزة عسكريا هم خلف الصحو وصدام جاسم وهما من منطقة « بيشكان» التابعة للضلوعية وحاجى خالد وهو من منطقة الطارمية التى تبعد ٤٠ كم شمال العاصمة بغداد عندما كان الثلاثة يستعدون لتنفيذ إحدى العمليات العسكرية التى تستهدف قوة أمريكية ،وكان يوجد اتفاق سابق بألا يتدخل هذا الفوج من البيشمركه فى أى عمليات وفقا لصفقة عقدها مع قيادات القاعدة مقابل عدم استهداف عناصره .

ونظرا لمكانة القتلى فى التنظيم حضر الأمير أبو مصعب ليشارك فى مجلس العزاء بنفسه خاصة وأن خلف الصحو كان من أكثر شباب القاعدة نشاطا والتزاما وكان يلقب بـ«فتى القاعدة المدلل » .. وتعهد الزرقاوى أمام والده بأن يثأر لمقتله بعملية تهتز لها أركان فوج البيشمركه المنتشرين من منطقة المعتصم حتى جسر الضلوعية « قاعدة الميكنزى» وكانت من أهم مناطق نفوذ القاعدة فى ذلك الوقت .

عاد أبو مصعب بعد انتهاء مجلس العزاء مصطحبا كتيبة يطلق عليها « الكفر

بالطاغوت» وقوامها أكثر من ٦٠٠ شخص مسلحين حتى وصلوا إلى منطقة «مسعدة » وجمع الزرقاوى شباب القاعدة وألقى محاضرة حماسية أمام الشباب الذى كان يتوق لرؤية قائدهم بعد أن سمعوا عنه الكثير من الحكايات الأسطورية وذلك تمهيدا للعملية .

دفع الزرقاوى بسبعة انتحاريين يرتدون أحزمة ناسفة فى المقدمة وعبروا إلى حيث تتمركز قطعات ودوريات من فوج البيشمركه الذى تمت تصفية غالبيته وهو ما أدى إلى سحب ما تبقى ومنع تواجد أى كردى بالمنطقة وعاونهم فى تلك « الغزوة» عناصر من قوات الشرطة العراقية التى كانت تعاون التنظيم « والمعروف أن المكان الوحيد الذى أثنى الزرقاوى على من يعمل بالحكومة أو الشرطة تحديدا فى ذلك الوقت كانت شرطة الضلوعية قبل أن ينقلبوا على التنظيم » .. كان دور قوات الشرطة فى هذه الغزوة هو إخلاء المصابين من شباب القاعدة باستخدام زيها الرسمى والسيارات التابعة لها وتقديم الإسعافات الأولية لهم .

ويقول الشاب القاعدى الذى طلب عدم ذكر اسمه أن هذا التصرف من الأمير « الزرقاوى» كان عاطفيا غير محسوب العواقب وهو أمر يحدث للمرة الأولى وهو ما أدى إلى كشف تحركاته بشكل كامل رغم أنه كان ينتقل فى العديد من المناطق ودخل إلى الضلوعية أكثر من مرة قبل ذلك ، ومما زاد الأمر سوءا هو خروجه من الضلوعية متوجها إلى هبهب فى محافظة ديالى مباشرة وهى تبعد حوالى ٣٠ كم فقط عن الضلوعية .

ويؤكد الشاب القاعدى أن الرواية المعروفة القائلة بأن الشريط الذى أذاعته الفضائيات للزرقاوى كان بداية النهاية له رواية غير دقيقة حيث جرى هذا التصوير فى منطقة الثرثار قرب أحد قصور صدام حسين وكان معه وقتها كل من ظاهر شاهين وحاتم مخلف وخالد عسكر والشيخ مقداد وهم الذين إستضافوه بمحافظة الأنبار عند دخوله العراق عندما شارك فى معارك الفلوجة عام ٢٠٠٤ .

ويعتقد الشاب القاعدى أن أحد المقربين منه وشى بتحركاته تلك المرة وأبلغ الأمريكان بالمكان الذى ذهب إليه وهو ما سهل رصده وقصف المنزل المتواجد فيه بقنبلة تزن نصف طن لينتهى أمره وتبدأ قيادة جديدة للقاعدة فى بلاد الرافدين .

٢٣ - مات مرتين

ثلاثة أعوام من الألم وصل خلالها إلى عتبة الموت مرتين أسفرت عن عجز دائم فى القدم اليسرى بسبب عمله فى المجال الأمنى ، إلا أن العزم يشتد والعزيمة

قائمة لا تهتز حتى لا تعود القاعدة إلى الضلوعية مرة أخرى رغم تسلل عناصرها بين الفينة والأخرى لتنفيذ عمليات النفس الأخير بلا ملاذات آمنة لأن حاضنتهم لفظتهم وصمم رفاق النضال ضد القاعدة ومعهم المقدم على الا تعود القاعدة أبدا إلى منطقتهم حتى لو لامس الموت مرة ثالثة .

فى ربيع العام ٢٠٠٥ كان المقدم على عائدا من تكريت عاصمة محافظة صلاح الدين حيث يعمل ضمن شعبة الجرائم الكبرى إلى بيته فى الضلوعية يرافقه العقيد شكر مدير حسابات صلاح الدين عندما مر رتل عسكرى أمريكى على الطريق ويبدو أن إحدى مجموعات المقاومة كانت قد نصبت كمينا لهذا الرتل وجرى تبادل كثيف لإطلاق النار بين الجانبين نال المقدم على منه نصيب وافر رغم أنه لم يكن طرفا فى القتال مما أدى إلى إصابته بإطلاقة قاتلة فى الفخذ أسفرت عن نزيف كاد يودى به إلى الموت بسبب قطع بلغ طوله حوالى ١٣ سم فى الشريان الرئيسى مما تتطلب إجراء عملية جراحية « فوق الكبرى» لربط الشريان بوريد من القدم اليمنى .

ويروى لى المقدم على « أبو حسين» أنه بعد إجراء العملية إنفجر الشريان مرة أخرى ليصل إلى الموت ثانية وكان الحل الوحيد هو بتر القدم بسبب لجوء الأطباء إلى «عقد الشريان » مما أدى إلى منع وصول الدم إلى باقى القدم وهو ما يتطلب بترها ، إلا أن قدرة الله أنقذت القدم من البتر حيث سرى الدم من الشريان عبر أوردة ضعيفة مما اعتبره الأطباء معجزة لا تحدث كثيراً .. عندها قام الأطباء بإجراء عدة عمليات جراحية لإصلاح القدم وتنظيفه لمدة ٣٠ يوما متواصلة أنهت الأزمة مؤقتا إلا أنها جعلته قعيد الفراش لمدة عامين كاملين تمكن بعدها من السير باستخدام « العكازين» .

يقول « أبو حسين » أنه رفض التعويض والبقاء قعيدا فى منزله كما تجرى العادة فى مثل هذه الأمور حيث لم يعد يمكنه السير بشكل طبيعى حتى بعد شفائه إلا أن القادة الأمنيين نزلوا على رغبته للعودة إلى العمل نظرا لكفاءته وحاجة المنطقة إلى خبراته بعد أن بدأت النهايات الأخيرة لتنظيم القاعدة وأصبح مثل الثعبان الجريح يضرب فى أى مكان وأى شيء يجده ،وبالفعل تولى منصب معاون مديرية شرطة الضلوعية وتمكن من خلال مجموعة فاعلة من المعاونين ضباطاً وجنوداً من تطهير المنطقة من أخطر عناصر القاعدة واعتقال أحد أهم الناشطين وهو « على اليوسف» المفتى الشرعى لمحافظة صلاح الدين بالتنظيم كما تمكن من إعتقال أحد الأمراء الخطرين ويدعى جمال ثامر وهو أحد ال١٦ قياديا الذين فروا من سجن « المشتركة» بتكريت عام ٢٠٠٩ وكان بينهم خمسة من المحكومين

بالإعدام .

رافقت المقدم «على» ذات مرة إلى تكريت مقر جامعة صلاح الدين حيث يدرس فى قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية لأنه لا يعرف حدودا للتعلم ولا يرى نهاية لا يمكن الوصول إليها لهذا لا يكتفى بمركزه الآمنى المرموق ونجاحاته فى ميدانه الذى اختاره وصمم عليه رغم بلوغه حد الموت مرتين وإنما يواصل التعلم إلى ما لا نهاية .

يقول « أبو حسين» أن نجله الأكبر التحق بكلية الشرطة ليتخرج ضابطا خلال هذا العام ويكمل مسيرة والده الذى غاب ثلاثة أعوام كاملة عن العمل الأمنى وعندما استفاق من كبوته وتحقق له الشفاء كانت بلدته الضلوعية « أرض النار» بدأت تفيق من كبوتها لتطرد عناصر القاعدة الذين غرروا بهم تحت عنوان الجهاد فكان الأهالى يدعمونهم بما يستطيعون ويوفرون لهم الملاذات الآمنة حتى سقطت الأقنعة وبدأت النهايات .

٢٤ - النهايات

تمتد الحكايات لتطال مناطق مؤلمة فى ذاكرة الطيبين من أهالى أرض النار ،بينما تتعدد الروايات حول البداية الحقيقية لانتفاضة الأهالى ضد تنظيم القاعدة الذى أحال حياتهم إلى جحيم يغلفه الرعب بعد أن تغيرت المعركة من معركة بين قوات محتلة وفصائل مقاومة داخل البلاد إلى استهداف للمواطن نفسه وترك المحتل وهو ما تتطلب وقفة وإعادة حسابات بعد أن تحولت القاعدة من مشروع مقاوم في العراق إلى مشروع لقتال واستهداف المواطن العراقي سواء كان من المسلمين الشيعة أو من المسلمين السنة، وتغيرت معالم الجهاد بشكل كامل .

تعددت الوقائع على الأرض التى لا تدع مجالا للشك وكانت سببا أساسيا في تغيير نظرة أهالى « أرض النار» إلى من احتضنوهم من المقاتلين سواء العراقيين أو العرب باعتبارهم مجاهدين وبالتالى خروجهم على عناصر القاعدة واستهدافهم بدلا من حمايتهم ومنحهم الملاذ الآمن والحاضنة التى جعلت مهمة قتلهم أو اعتقالهم شبه مستحيلة بعد أن كرست سلوكيات عناصر التنظيم قناعات لدى الناس بأن القاعدة انتقلت من فصيل مسلح يهدف إلى الجهاد ضد المحتل إلى فصيل خارجي ينفذ أجندات لا علاقة لها بالجهاد أو المقاومة وهو ما دفع الكثير من الناس إلى أن يتركوا تنظيم القاعدة بسبب اعتبار التنظيم أن كل من ليس عضوا فيه كافر أو مرتد أو ممتنع أو صائل وهى درجات من الاتهامات تستوجب العقاب والقتل فى معظم الأحيان .

اجتمع المنشقون عن تنظيم القاعدة من الأهالى مع ضباط الشرطة وعناصرها الذين عادوا لممارسة عملهم فى الضلوعية بعد أن ظلوا فى منازلهم بين مجبر غير قادر على العمل أو متعاون مع القاعدة ، محذرين من يحاول اعتراضهم بأن مصيره القتل، هذا الانشقاق عن القاعدة جاء بعد التفاوض مع ملا ناظم الجبورى أحد الستة الذين شكلوا مع أبو مصعب الزرقاوى مجلس شورى المجاهدين وذلك فى اجتماع جرى بمنزله نهاية عام ٢٠٠٥ وهو ما حدا بقادة القاعدة إلى تحذير ملا ناظم ومطالبته بالرجوع إلى رشده بعد أن هاجمهم غلانية من فوق منبر مسجد الخلفاء الذى يؤم المصلين فيه امتداداً لوالده رحمه الله .

أدى هذا الموقف إلى أن تضاعف القاعدة عملياتها ضد أهالى الضلوعية فتختطفهم وتقوم بتصفيتهم أو تعذيبهم إما بشكل علنى في الشوارع كقضايا التعزير، وإما في معتقلاتها كحجز لمدة أكثر من شهر والتعذيب والجلد وغيرها من الأمور، وهو ما أدى إلى نقطة تحول لدى الناس الذين طالهم الأذى بسبب احتضانهم للقاعدة ودعمهم لمشروع الجهاد والمقاومة، تغير المجتمع بشكل عام، بعد أن رأى أهل الضلوعية أن هذه الأفعال جزء من أجندة خارجية لا تمثل المقاومة ولا تمثل الدفاع عن الوطن ولا تمثل الجهاد، فانقلب على القاعدة ومن يواليها وقرر أن يطردها فإن امتنعت عن مغادرة حاضنتها الآمنة فلا خيار سوى القتال ، وكان هذا الخيار هو الأرجح بعد أن تمادى عناصر القاعدة فى تصرفاتهم.

وهنا تتعدد الروايات حول من قاد القتال ضد القاعدة وأين كانت بداية النهاية ومن الذى بدأ بإعلان التمرد على جحافل المسلحين المتحفزين لإسكات أى صوت يرتفع ضد إرادتهم وتصفية من يثبت ولو بالشبهة أنه يخالف منهجهم ،إلا أن كل الروايات تصب فى خانة واحدة وهى إصرار الجميع بعد أن طفح الكيل على طرد القاعدة ومحاربة عناصرها حتى يتم القضاء عليهم سواء بالاعتقال أو القتل .

الرواية الأولى لقائد شرطة الضلوعية محمد خالد عبد الحميد تقول أن جهاز الشرطة بعد أن فقد مركزه بسبب عدم تمكنه من محاربة عناصر تنظيم القاعدة الذين كانوا يحظون بدعم الأهالى باعتبارهم مجاهدين أدركوا قبل الجميع أن الأمر لا يعدو أن يكون أجندة خارجية وأن الجهاد عنوان عريض يتوارى خلفه المسلحون خاصة بعد أن بدأ «اللثام » يطغى على الشارع وبات لمن يرتديه الحل والعقد وتوجه السلاح إلى صدور العراقيين بدلا من الأمريكيين خاصة المترجمين والموظفين وعناصر القوات الأمنية ،وبعد مقتل الشرطيين جاسم ولؤى الزوبع بدأت الشكوك تحوم حول تعاون هؤلاء الملثمين مع قوات الاحتلال بعد أن استفحلت قوتهم .

ويرى المقدم عبد الحميد أن الأمريكان ربما فعلوا كل ما يمكن حتى تستفحل قوة المسلحين ويزداد إجرامهم حتى أنهم كانوا يشجعونهم على استهداف رموز المجتمع المدنى حتى ينفر منهم المجتمع ويلفظهم وينوب فى القتال عن الأمريكيين ضدهم بعد أن خرجوا عن حدود السيطرة حتى أن هؤلاء المسلحين اعتبروا من يساهم فى أى تنظيم رسمى أو شعبى خارج نطاقهم جاسوسا ومتعاونا مع الاحتلال ويحق قتله وهو ما حدا بشيوخ المنطقة ووجهائها إلى الانسحاب تماما من الساحة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد شويش وهو ما جعل الساحة خالية أمام هؤلاء المسلحين أو « الحكام الجدد» .

ويقول القائد الحالى للشرطة أن مديرية شرطة الضلوعية صارت إدارة تابعة « للمجاهدين» بعتادها وسلاحها وحتى ملابسها حتى بدأت سلوكياتهم تثير المجتمع عليهم خاصة بعد أن أقروا مبدأ تصوير البنات بدعوى التأكد من ارتدائهم الحجاب والخمار والنقاب ثم يميزون الجميلات منهن ويجبرون أهلها على تزويجها لأحد عناصر التنظيم وفق دستورهم خارج نطاق الأطر الرسمية للمجتمع أو حتى العشيرة .

وفى ٢٨ مارس عام ٢٠٠٦ هاجموا المركز الشمالى للشرطة ثم هدموا مبنى المديرية العام لشرطة الضلوعية فى شتاء ٢٠٠٧ واستولوا على كل ما فيه من سلاح وعتاد بعد أن بدأت عمليات التصفية لهم من جانب قوات الصحوة بمساعدة الشرطة التى بدأت تحاول استعادة دورها ،وعندما تولى المقدم عبد الحميد مسئولية إدارة الشرطة فى الضلوعية جاءت معلومة استخبارية بأنه سوف تجرى عملية مبايعة علنية لتنظيم القاعدة فى الشارع العام حتى تثبت القاعدة أنها مازالت قوية رغم بدء عمليات القتال ضدها حيث قرر أمراء التنظيم نصب هيئة شرعية فى الشارع العام للضلوعية يوم ٢٧ يوليو عام ٢٠٠٧ ومن يمتنع عن المبايعة يتم قطع رأسه فورا أمام الجميع وهو ما حدا بالرجل إلى أن « ينتخى» رجاله أى يطلب منهم المساعدة وحثهم بالطريقة العشائرية حتى ينهوا تلك المهزلة وخاض معركة عنيفة مرتديا ملابس رياضية غير رسمية حتى تمكن من هزيمة المسلحين وطردهم من مبنى مديرية الشرطة والمنطقة بالكامل ليهربوا إلى المناطق الصحراوية والبساتين البعيدة على تخوم المنطقة .

أما الرواية الثانية فيرويها أحد قادة الصحوة بالضلوعية وهو أحمد طبيعة الذى خاض ومازال معارك شرسة ضد عناصر التنظيم ،حيث يؤكد أن القاعدة عندما تمادت فى التحكم بالناس وصار عناصرها هم أهل الحل والعقد يتحكمون فى الضلوعية التى تتميز بكثرة عدد مثقفيها من أطباء ومهندسين وأساتذة

جامعات وقادة بالجيش والشرطة رغم أن هذه العناصر لا تحمل أية مؤهلات ولا تملك أى رصيد اجتماعى أو عشائرى .

يقول « طبيعة» أن الأمريكيين كانوا يبحثون فى تلك الفترة عن شخص يتوافق مع أفكارهم ولديه الأرضية الراسخة لدى شباب وأهالى المنطقة ويتميز بالشجاعة التى تتيح له البدء بالتصدى لتلك الموجة العاتية من العنف التى أدت إلى أن يفقد عناصر تنظيم القاعدة تعاطف الأهالى ، وبالفعل أرسل الأمريكان فى طلبه بطريقة غير اعتيادية حيث جاء شخص من أهالى منطقة بلد الشيعية المجاورة ينتمى لعشيرة السعدى ليخبره أن هناك مذكرة اعتقال بحقه وأنه يجب أن يذهب إلى معسكر القدس ليبرىء نفسه عند الأمريكان.

وروى لى « طبيعة» كيف استقبله بالمعسكر شخص يدعى « كابتن هنجر» ، وبعد حوار جرى خلاله التعارف أبلغه أن القوات الأمريكية قررت تأسيس قوات مسلحة سرية لمقاتلة القاعدة بعقود رسمية وهو أمر اعتبره خياليا حيث كانت القاعدة تسيطر على كل مقدرات الأمور بالمنطقة ومناطق كثيرة بالعراق أمنيا وسياسيا واجتماعيا .

ويقول « طبيعة» أنه فجىء بوجود ملا ناظم الجبورى الذى كان أحد أهم قيادات القاعدة فى ذلك الوقت وجرى فى بيته تأسيس مجلس شورى المجاهدين مع زعيم القاعدة فى بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوى إلا أن وصول شخص يدعى « مقدم مكارثى» حسم الأمر وأكد دور ملا ناظم فى مقاومة القاعدة وتم الاتفاق على تشكيل كتيبة تصفيات لعناصر القاعدة من ١٨ شخصا ، وتواصلت الاجتماعات السرية لاختيار الأشخاص الذين لديهم استعداد للقتال ويتمتعون بذكاء ميدانى .

فى تلك الأثناء كانت قد ظهرت للوجود جماعة سرية أطلقت على نفسها اسم « الرايات السود» وهى عبارة عن مجموعة من الشباب ذوى التوجهات الإسلامية اتفقوا فيما بينهم على قتل القاعدة بعد استفحال نفوذها وظهر تأثيرها السلبى ، حيث تمكن طبيعة كما روى لى من اتخاذ هذه الجماعة كواجهة قامت بتوزيع المنشورات ضد القاعدة بعد أن قام بتنظيم العمل مدعوما من القوات الأمريكية .

وكانت أول عملية تم التخطيط لها بعناية هى تصفية « خالد الحبيب» الذى كان يقيم فى نفس المنطقة التى يتواجد بها منزل أحمد طبيعة ،إلا أن المحاولة فشلت وأصيب الحبيب وهو ما جعل قادة القاعدة يشعرون بالخطر بسبب التحركات المتلاحقة ضدهم .. فيما كانت العملية الثانية هى تصفية أحد القياديين وهو حايف الشيتاوى الذى كان يقود جيش أنصار المجاهدين حيث تم

زرع عبوة ناسفة فى صندوق نفايات وتفجيرها عن بعد لدى مروره إلا أنه نجا أيضا من الموت..أما المحاولة الثالثة فكانت قتل وهاب الصحو عن طريق بندقية قنص إلا أنه أفلت فى اللحظة الأخيرة من القتل .

ويروى « طبيعه» أن استمرار المحاولات ضد عناصر تنظيم القاعدة وقياداته عززت المخاوف لدى التنظيم وزادت المخاطر عليهم بعد ظهور معارضين علنيين وتكاتف الجميع لمحاربتهم من الأهالى وقوات الشرطة وقوات الصحوة مدعومين بهجمات القوات الأمريكية إلتى كانت قد قررت إنهاء دور القاعدة تماما ،كما تم تنفيذ عمليات عسكرية ضد مقاتلى القاعدة خارج الضلوعية خاصة منطقة « خر نصر» بتنسيق مع الأمريكان وبإسناد جوى .

بدأ المتطوعون يتوافدون للانضمام إلى عناصر الصحوة وشكل الشيخ نجم العبد الله الزويع مجموعة من قوات الصحوة قوامها ٥٠ مقاتلا .. كما تشكلت قوة أخرى مشابهة بقيادة وليد طلب حسنين ،وكانت أول عملية مداهمة علنية تنفذها قوات الصحوة لمنزل وزير إعلام الدولة الإسلامية محارب الجبورى حيث تمكن انتحارى يحمل الجنسية السعودية كان مختبئا بالمنزل من تفجير نفسه مما أدى إلى استشهاد « وليد» فى خريف ٢٠٠٧ .. فيما كانت العملية الثانية هى صد هجوم نفذته القاعدة ضد الضلوعية بعد طردهم من البلدة وكانت هذه المعركة هى النهاية الحقيقية لتواجد القاعدة وكسر شوكتها وهو ما جعل عناصر التنظيم يلجأون إلى صحراء العظيم ومناطق البساتين والأدغال التى صارت مصائد للموت ، وقامت قوات الصحوة بتطهير ما تبقى من جيوب وخلايا نائمة وتم توقيع وثيقة عهد لشيوخ الضلوعية بألا يظهر أى مسلح فى مناطقهم وهو ما أفقد القاعدة حاضنتها العشائرية.

ويقول « طبيعة» أن القوات الأمريكية بدأت تساوم قيادات وعناصر الجيش الإسلامى لتحركه لقتال القاعدة مقابل العفو عن مسلحيه وذلك فى منطقة المعتصم التى تمركزت فيها القاعدة بعد انسحابها وذلك من خلال مفاوضات شاقة مع الدكتور فرياد ضارى وملا بابان الذين حصلوا على موافقة قائد الجيش الإسلامى بالعراق مؤيد المتعب وهو ما أدى إلى اندلاع معارك شرسة بين عناصر القاعدة والجيش الإسلامى قادها خالد المنديل وعمر حسين بالتنسيق مع الأمريكان من خلال « طبيعه» ، إلا أن الجيش الإسلامى اضطر للانسحاب من القتال بسبب تكبده خسائر فادحة وطلب استبداله بعناصر من قوات الصحوة .

كما تكبدت القاعدة خسائر كبيرة بلغت مئات المقاتلين وهو ما شجع الشيخ باهض الفراجى أكبر شيوخ المنطقة على مقاتلة القاعدة بعد أن شكل صحوة تضم

حوالى ١٥٠ مقاتل مما أسهم فى حصار مقاتلى القاعدة وقتلهم أو اعتقالهم فى ناحية المعتصم.

ويقول « طبيعه» أنه جرى تطهير معظم المناطق المحيطة بالضلوعية ما عدا قرية « بيشيكان» المحاذية لمحافظة ديالى حيث فشلت كافة الجهود للسيطرة عليها بسبب صعوبة تضاريسها وتشابك حدودها مع جهات يسهل استخدامها للهرب مما جعلها ملاذا مناسبا لمن تمكن من الفرار من مقاتلى القاعدة .

ويؤكد «طبيعة» قوة الدور الإيرانى فى تمويل عناصر من تنظيم القاعدة تم تجنيدها لحساب إيران وهى التى سببت الكثير من المتاعب للأمريكان ومازالت القوات الأمريكية تعانى منه ،حيث جرت خلال تلك العمليات مصادرة كميات هائلة من الأسلحة والأموال الإيرانية كانت بحوزة المقاتلين ليس فى الضلوعية والمناطق المحيطة بها فقط وإنما فى مناطق أخرى مثل منطقة الأعظمية شمال العاصمة بغداد التى تم فيها اعتقال من يطلق عليه قناص الأعظمية « أبو الذهب» واثنين من مساعديه الذين اعترفوا بأنهم تلقوا تدريبهم فى إيران وأرشدوا القوات التى إعتقلتهم عن مخبأ ضخم جدا لأسلحة إيرانية الصنع وذلك رغم الصراع العقائدى بين إيران الشيعية والقاعدة التى تمثل السلفية الجهادية المتطرفة .

أما الرواية الثالثة فهى لناظم الجبوري أو « ملا ناظم» الذى رفض نصيحة صديق الأمس عدو اليوم «أبو عبيدة الجزائرى الذى طلب منه الرجوع إلى رشده وعدم مهاجمة «إخوانه المجاهدين » وقام الجبورى بإعلان الثورة مع ٨٠٠ شخص برفقة قوات الجيش التي كانت تقف على أسوار المدينة ضد القاعدة، التي أرسلت تهديدات بحق من يحاول إعادة الشرطة للعمل في الضلوعية التابعة لدولة العراق الإسلامية، وأعلن من فوق منبر الجمعة الذي كان يصدح من خلاله لقتال الأمريكيين أن هذه الجماعة التي كان ينتمي إليها خارجة عن منهج الإسلام، وأن قتالها واجب على كل مسلم بعد أن خرجت عن المنهج الحق والصراط القويم، وتحولت عن استهداف الغزاة المحتلين إلى منهج غاية في التطرف والتشدد وهو منهج الخوارج، الذين يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الكفر.

تزامن هجوم ملا ناظم مع هجمات الشرطة فردت القاعدة بهجوم على المدينة بواسطة الأسلحة المتوسطة والخفيفة والسيارات المفخخة، عندها كان الأهالي قد ضاقوا ذرعا من القاعدة ووجدوا من يتحرك أمامهم لقتالها، وتم صد الهجوم من قبل الشرطة والأهالي بعد معارك دامية قتل فيها عدد كبير من عناصر القاعدة التي اعتبرت الضلوعية بلدة مرتدة أى أنه يجب قتل كل من ينتمى إليها حتى لو

كان من أقرب أقارب أعضاء التنظيم وهو ما أدى إلى تنفيذ القاعدة لإستراتيجية جديدة بعد أن فقدت ملاذها الآمن فى الضلوعية وسقطت كل الأقنعة التى كانت تختبىء وراءها وأصدرت الحكم الأقسى على الأهالى الذى يفوق درجة الكفر وفقا لفكرهم وهو أن الضلوعية بكاملها خارجة عن الإسلام « مرتدة» .

أينما وقعت نفعت

بعد هذه المعارك وانتقال عناصر تنظيم القاعدة إلى الصحراء لترتيب صفوف مقاتليها، بعد أن تم تحرير العديد من المناطق المحيطة بالضلوعية من يد دولة العراق الإسلامية في منتصف العام ٢٠٠٧، لم تسلم تلك المناطق من بعض هجمات القاعدة التي لم تغفر لأهلها الذين تمردوا عليها إلا أنها بدأت إستراتيجية جديدة فى تلك الهجمات التى تفسر مدى الهزيمة التى لحقت بالتنظيم ماديا وبشريا وهى إستراتيجية عمادها الكر والفر أى تنفيذ عمليات سريعة ضد الضلوعية وأهلها دون الارتكاز على قواعد ثابتة من خلال تفجيرات وهجمات مسلحة واستهداف من ساهم فى طرد التنظيم خاصة ملا ناظم الجبورى الذى تعرض لثلاثة محاولات إغتيال نجا منها بأعجوبة ، بالإضافة إلى عمليات قصف مكثف بقذائف الهاون والكاتيوشا التى كانت تصيب الدور والجوامع والبساتين المحترقة وفقا لمبدأ أقره قادة التنظيم وهو « أينما وقعت نفعت» ويعنى أن أى شيء تصيبه القذيفة أو أى خسائر تسببها سواء سقطت على مسجد فقتلت المصلين أو على منزل لعائلة لا طائل لها بما يجرى فقتلت سكان المنزل من النساء والأطفال فأن أيا من تلك الخسائر مفيد ونافع باعتبار البلدة مرتدة يستحق كل أهلها القتل ويستحق ثمرها ونخيلها الحرق .

ورغم تطهير الضلوعية والمناطق المحيطة بها إلا أن محاولات تنظيم القاعدة لضربها لم تتوقف رغم ما حدث من تغييرات كبيرة تؤشر إلى سيطرة القوات الأمنية بكل عناصرها وفئاتها على مقدرات الأمور وفرض الأمن والاستقرار بسبب وجود بعض الخلايا النائمة التى تنتظر أى لحظة استرخاء لتقتنص الفرصة وتوجه إحدى ضرباتها وهو ما حدث بالفعل أثناء إحدى زياراتى يوم ٢٠ يونيو عام ٢٠١٠ عندما انفجرت عبوة ناسفة على الشارع العام مستهدفة المقدم قنديل « أبو تبارك» قائد قوة الرد السريع إلا أنه نجا من الانفجار لتبدأ مرحلة جديدة وخطة جديدة لملاحقة الخلايا النائمة لتنظيم القاعدة حتى لا تتمكن من توجيه ضربات أخرى .

٢٥ - بيت الرعب

يحكى هذا المكان قصة صعود وانهيار مجتمع الرعب والإرهاب كما يحكى كيف يمكن أن تنبت الحياة فى وادى الموت، ويبقى هذا المكان شاخصاً بكل أفراحه الحالية وأطراحه السابقة التى رسمت تاريخاً من القهر مغلفا بالدم والبارود، ثم استحال إلى ربيع للحياة ومزار للترويح عن النفس.

يحكى شعلان العود كيف صار مبنى يقع وسط مدينة الضلوعية «أرض النار» مقرا للقاعدة تجرى خلف حوائطه المظلمة قصص من الغدر والرعب والقهر كانت تتكرر سيناريوهاتها لتخلف أحزاناً ودماءً وتخط تاريخاً مليئاً بالقتل والقتل المضاد والانتقام الذى يحركه الثأر العشائرى وهو ما يخشاه الجميع رغم انتهاء أيام بيت الرعب.

فى سبعينيات القرن الماضى كان هذا المبنى ملاذا للفقراء من العائلات المتعففة الغريبة يحتضنها لتجد مكانا للإقامة بعد أن ضاقت بها أرض العراق الواسعة، ثم تمضى الأيام ويتحول البناء غير المكتمل إلى مقر رئيسى لقيادة تنظيم القاعدة يضم المحكمة الشرعية والسياف والأمراء والقوات التى تنتظر الأوامر بالتحرك لتنفيذ عملية اختطاف يتبعها قتل بعد محاكمة شرعية تفتقد لأبسط قوانين الإنسانية تطير بعدها رقبة المحكوم عليه بأنه مرتد أو كافر.

كان موقع هذا المبنى بمثابة ملاذ استراتيجى لأنه تعتبر مركزاً رئيسياً ينتهى عنده طريق الإمدادات والأسلحة والهروب إذا لزم الأمر، حيث يطل على بستان كبير ومنطقة مفتوحة تتيح لمن يقيم فيه أن يتحرك بسهولة ويسر لينفذ أى مخطط لجلب الأسلحة أو الرهائن كما أنه يصلح كمقر للإقامة للنوم والراحة بعد يوم عمل شاق يبدأ بالاختطاف والاستجواب والتعذيب ثم القتل.

كان بيت الرعب مثار استياء لأهالى «أرض النار» حيث كان سكانه يغالون فى استغلال نفوذهم القائم على العنف والإرهاب وخوف الأهالى منهم حتى بلغ الأمر إلى المطالبة بتجهيز الطعام بالإكراه باعتبار سكان هذا المكان هم حماة المنطقة والمدافعون عن شرف البلاد والعباد ومقاومى الاحتلال الغاصب.

بعدما دارت الدوائر وتغيرت الأمور كانت رغبة أهالى «أرض النار» العارمة لتغيير صورة المكان والغاء تاريخه الدموى كفيلة بأن يتحول بيت الرعب إلى أكبر مركز تجارى وترفيهى للمنطقة حيث تطوع الشباب وطلبوا من صاحب البناية ليتحول إلى مجموعة من المحلات لبيع الذهب والأزياء ومتطلبات المنزل والأسواق التى تبيع

المواد الغذائية وبات بيت الرعب يسمى «مول الضلوعية» لينبض بالحيـــاة بعـــد أن كان يثير فى النفس الكثير من الألم والاشمئزاز واقبل الأهالى على محلات هـــذا المول أملا منهم فى استمراريته كمكان ينبض بالحياة بعد أن كان مجرد العبـــور من أمام تلك البناية كابوسا تخرج فيه الروح من جسد العابر بسبب الرعب الذى كان يعشش على المكان.

وكما عادت «أرض النار» أرضا للبهاء والكرم وخيمة تستضيف العابرين بعد أن كانت محرمة على أهلها قبل الغرباء عادت البناية التى كان يطلق عليها بيـــت الرعب لتحمل الكثير من الحياة والراحة لكل من يعبر بجوارها أو يدخلها ليتسوق بحرية غير مبال بتاريخها الدموى.